طليعة الصحيح المسند من كرامات الأولياء

البشلى

بقلم
محمد زكي عبد الدايم

مكتبة السنة

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

رقم الإيداع : ١١٨٥٣ / ٩٩
طبع بدار نوبار للطباعة

مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم



القاهرة : ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين ،ناصية شارع الجمهورية،
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ - ٣٩١٣٥٣٢ فاكس : ٣٩١٣٥٣٢ - تلكس: ٢١٧١٩ TLTHRB UN
ص . ب : ١٢٨٩ - الرمز البريدى : ١١٥١١

« وَقَد لَبَّسَ إبليسُ عَلَى قَومٍ مِنَ المُتَأخِّرِينَ فَوَضَعُوا حِكَايَاتٍ فِي كَراماتِ الأَولياءِ لِيُشيدُوا - بِزَعمِهِم - أَمرَ القَوم ، وَالحَقُّ لا يَحتَاجُ إلى تَشييدٍ بِباطِلٍ ، فَكَشَفَ اللّهُ تَعَالَى أَمرَهُم بِعُلَمَاءِ النَّقلِ ...»

أبو الفرج بن الجوزي

« وَإِثبَاتُ كَرَامَةٍ لِوَلِيٍّ كَإِثبَاتِ مُعجِزَةٍ لِنَبِيٍّ ... »

المُصَنِّف

(المقدمة)

بسم الله الرحمن الرحيم

باسمك اللهمَّ !

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، ثم الله خيرٌ مما يشركون[١]. الحمد لله على عفوه بعد قدرته، وعلى رضاه بعد سخطه، وعلى سرائه بعد ضرائه، وعلى ما أجرى به القلم في كل حال.

وصلى الله وسلم على محمدٍ النبي، وأزواجه وذريته وآل بيته، ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

وبعد ...

فإن من الطبائع البشرية، ومما جَبَلَ الله الخلق عليه - الجُنوحَ إلى الخيال وحُب الأساطير، يعرف هذا من استقرأ تاريخ الأمم والشعوب، ولا سيما الذين دَوّنوا تاريخهم وصنفوا في الحوادث وتصاريف الدهور، من لدُنِ المصريين القدماء، ثم اليونانيين -أو الإغريق- ومرورًا بالرومان، ووصولاً إلى الهند القديمة وبلاد العرب وفارس.

ولقد كان يُؤلمني ويَجلِبُ غيظي وحَنَقِي؛ أن أرى الخطيب أو الواعظ أو القاصَّ يَقُصُّ على سمع الناس كراماتٍ وحوادِثَ جرت لبعض الأولياء لا يُعرَفُ لها قَبيلٌ من دَبِيرٍ، ولا يُعلم لها أبٌ تَنزِعُ إليه!!

وأنت في هذا كله ترى أفواههم قد فُتِحَت عن آخرها، وعُيُونَهُم قد جَمُدت عليه.

---

(١) لم أبدأ - هنا - بخطبة الحاجة؛ وذلك لأنها إنما وردت في مَعرض الخطابة لا الكتابة، كما اعتاد كثير من مصنفي هذا العصر، بل إني لا أعرف - فيما علمت - أحدًا من السلف الذين صنفوا - ابتدءوا مصنفاتهم بتلك الخطبة، فعلم أنها مقصورة - لمن تمسك بالسُّنة - على افتتاح الخطب لا على افتتاح التصانيف.
وقد أشار إليَّ بعض الإخوة أنهم قرءوا هذه الفائدة بِعينها عند بعض من اشتهر عند العامة في بعض كتبه، فأعلمتهم أنه مني أخذها واعترف لي بذلك في الهاتف، ثم لم يُشِر إلى ذلك من قريب ولا من بعيد، ثم أخبرتهم أن الأمانة العلمية قد كُبِّر عليها أربعًا(*). وإليه وإلى أمثاله أسوق ما خَطَّهُ الشيخ المفضال بكر أبو زيد من قوله أو قول العلامة الخضر حسين: «وَمَن تطلع إلى سُمعةٍ فوق منزلته، فليعلم أن في المرصاد رجالاً يحملون بصائر نافذة وأقلامًا ناقدة، فيزنون السمعة بالأثر...» .
وانظر غير مأمور: مقدمة تحقيقي لكتاب «إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث» لأبي البقاء العكبري.

(*) قولي: «كبر عليها أربعًا» هكذا بالنصب، هو على مذهب الكوفيين من إجازتهم أن يقوم الجار والمجرور مقام الفاعل، ومثله في حديث البخاري (٤٠٩٣)- وسيأتي في كرامات عامر بن فهيرة -: «ومنذر بن عمرو، سمي به منذرًا»، وفي قراءة من قرأ: «ليُجزى قومًا بما كانوا يكسبون».

وقد تسمع - مع هذا - بعض آهاتٍ مكتومةٍ أو مَصمصةَ شِفَاهٍ تصدر من ذاك الركن أو تلك الزاوية؛ تعجبًا من وقائع القصة، وطربًا بأسلوب القاصّ الذي يأخذ بمجامع القلوب، وهو لا يعدو أن سطا على كتابٍ غير مسندٍ، بين مُصَنِّفِهِ وبين أولئك الجبال - مَفَاوِزُ تنقطع دون أقربها أعناق المَطِيِّ(!!).

وما يَضِيرُهُ وقد بلغت الموعظة مبلغها وقد قام الناس وهم يحركون رءوسهم يَمْنَةً ويَسرَةً من بلاغة سَحبانَ بنِ وائل، وفصاحة صَعصَعَةَ بن صُوحَانَ، وخطابة قُسّ ابن ساعدة الإيادِيّ؟!

وهنا يَرِدُ حظُّ النفس، ولا يسلم منه إلا من رحم الله تعالى؛ أخرج أبو بكر المروزيُّ في «كتاب العلم»، وأبو جعفر النحاسُ في «الناسخ والمنسوخ» عن أبي البختري قال:

دخل عليُّ بن أبي طالب المسجد فإذا رجل يُخَوِّفُ - ولفظ المروزيّ: يَقُصُّ - فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يُذَكِّرُ الناس. فقال: ليس برجل يذكر الناس، ولكنه يقول: أنا فلانُ بن فلانٍ فاعرفوني[1].

يقول العلامة محمد العربي التباني في «تحذير العبقري من محاضرات الخضري» (٣٤/١):

«فلقد كان لزامًا من كل مسلم لبيب ألا يثق بكل ما يقوله المؤرخون في رجال الأمة الإسلامية عمومًا، فأحرى في ساداتها الذين رفعوا قواعد هذا المجد الخالد (الصحابة رضوان الله تعالى عليهم)؛ لأن التاريخ نقل محض *يشترط فيه ما يشترط في الأثر*؛ من: عدالة الرواة الناقلين لأي حادثة من حوادثه تتعلق بأي شخص كان من الناس، وضبطهم كما نقلوه، وغير ذلك من شروط الخبر المعتبرة في الناقلين فردًا فردًا، فمجال الرأي في أي حادثة منه لا يكون إلا بعد استيفائها شروط الصحة للخبر...

وهذا مؤسس مجلة «الهلال» ومؤلف كتاب «التمدن الإسلامي» وغيره -جورجي زيدان - قد عرض كتابه التمدن الإسلامي على نِظَارَةِ المعارف المصرية إذ ذاك وطلب منها أن تقرر تدريسه في مدارسها، فعهدت النظارة إلى بعض أساتذتها بمطالعته وإبداء رأيهم فيه، فلما طالعوه بينوا للنظارة أن فيه غلطًا كثيرًا، وأنه غير جدير بأن يعتمد عليه في التدريس ولا المطالعة.

---

(١) ذكره السيوطي في "تحذير الخواص من أكاذيب القصاص" (ص ٢٤١).

ونشرت جريدة «المُؤيَّد» نقد بعضهم له، وكنا نظن انتهاء جريان قلمه بالمفتريات في الإسلام ورجاله بموته منذ سنين كثيرة، وما بقي ذاك الشنار إلا في بطون تآليفه، فإذا بنا نسمع ونرى مجلة «الهلال» التي لا يزال تلامذته ينفذون خطته فيها، بنشر سلسلة *رواياته الخيالية* في سادات هذه الأمة، وافتعاله أسماء نساء وحكايات عنهم لا توجد إلا في مُخَيِّلَةِ مسلسل الأباطيل، بعناوين مزخرفة:

«*عذراء قريش*»، «*غادة كربلاء*»(!!)، في أسلوب ضل به الناشئة والعامة معًا أشد من ضلالهم بالكتب الباطلة الخرافية الموضوعة من قبل لإفساد عقائد المسلمين وإضلالهم؛ كـ «*فتوح الشام*» المنسوب للواقدي، و«*ذات الهمة*»، و«*العنترية*»، و«*رأس الغول*»، و«*ألف ليلة وليلة*»، وغيرها.

فإلى الله المشتكى من هذا البلاء، فلو كان رُمحٌ واحدٌ لاتَّقيتُهُ..

إلى أن قال - رحمه الله -:

«***والعَجَبُ - أيضًا - من مُسلم يترك مناقب الصحابة الصريحة المقطوع بها في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بل في جميع الكتب السماوية، ويتركها - أيضًا - في السنة الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام ويذهب يتعثر في طلبها في كتب التواريخ التي لا تخلو من الواهيات والأباطيل، بل يطلبها في المجلات المضلة وكتب الفكاهات(!!)..***».

ولعل هذا هو ما دفع ابنَ الجوزي - رحمه الله - إلى أن يستنكر أمورًا وقعت في «حلية الأولياء» لأبي نعيم، من ذكر أحاديث موضوعة، وأشياء عن الصوفية لا يجوز فعلها، وإن كان كتابُه «صِفةُ الصفوة» لم يخلُ من حكاياتٍ وقصص لا أعرف لها أصلا، تجدها مبثوثة في تراجمه[1].

على أنه قد ذكر في مقدمة كتابه «الموضوعات» خطر القصاص وأَثَرَهُمُ السَّيِّئ على سامعيهم، يقول:

«والقاصُ يروي للعوام الأحاديث المُنكرة، ويذكر لهم ما لو شم ريح العلم ما ذكره، فيخرج العوامُ من عنده يتدارسون الباطل، فإذا أنكر عالِمٌ، قالوا: قد سمعنا هذا بـ «أخبرنا» و«حدثنا».

---

(١) خاصَّةً ما حكاه في "تراجم المجاهيل من العُبَّاد" (!!).

فكم قد أفسد القُصاصُ من الخَلقِ بالأحاديث الموضوعة !!
كم لونٍ قد اصفر بالجوع !!
وكم هائم على وجهه بالسياحة !!
وكم مانع نفسه ما قد أبيحَ !!
وكم تاركٍ رواية العِلم زعمًا - منه - مخالفة للنفس في هواها في ذلك !!
وكم مُوتِم أولادَهُ بالزُّهد وهو حيٌّ !!
وكم مُعرضٍ عن زوجته لا يُوفيها حقها، فهي لا أيِّمٌ ولا ذاتُ بَعلٍ !!» اهـ.

ولعل هذا -أيضًا- هو عينُهُ ما دفع السيوطيَّ -من بعد- ليصنف كتابه «تحذير الخواص من أكاذيب القصاص»؛ فإنه قال في مقدمته:

«وقد استُفتيتُ في هذه الأيام في رَجُلٍ من القصاص يورد في مجلس ميعاده (!!) أحاديث، ويعزوها إلى النبي ﷺ جازمًا بها، ولا أصل لها عنه، بل منها ما اشتَهَرَ في كتب بعض أرباب الفنون ولا أصل له عند المحدثين، ومنها ما هو باطل مكذوب...»
ثم ذكر مثالاً لذلك ثم قال:

فأفتيت بأن هذا لا أصل له، وهو باطل لا تحل روايته ولا ذكره، وخصوصًا بين العوامِّ والسُّوقَةِ والنساء، وأنه يجب على هذا الرجل أن يصحح الأحاديث التي يرويها في مجلسه على مشايخ الحديث، فما قالوا: إن له أصلاً - يرويه، وما قالوا: إنه لا أصل له - لا يذكره.

هذا نص الفُتيا أولاً.

فنُقِلَ إليه ذلك، فاستشاط غضبًا، وقام، وقعد، وأَزبَدَ وَأَوعَدَ، وقال: مِثلِي يصحح الأحاديث على المشايخ؟ مثلي يقال له في حديث رواه: إنه باطل؟ أنا أصحح على الناس؟ أنا أعلم أهل الأرض بالحديث وغيره...

ثم أغرى بي العوامَّ، فقامت عليَّ الغَوغَاءُ، وتناولوني بألسنتهم وتوعدوني بالقتل والرجم.

فلما بلغني ذلك أعدتُ الجوابَ وزدتُ فيه:

ومتى لم يصحح الأحاديث... وعاد إلى رواية هذا الحديث بعد أن بُيِّنَ له بطلانه، واستمر مُصِرًّا على نقل الكذب عن رسول الله ﷺ أفتيت بضربه سياطًا.

فازداد هو حِدَّةً، وتزايد الأمر من عُصبَةِ العوام شدةً، وثاروا ثورة كبرى، وجاءوا شيئًا إمرًا، ***وقد ألفت هذا الكتاب في هذه المسألة...***». اهـ. ملخصًا.

وإن أضرب مثالاً يبين حجم المصيبة، فلن أجد أقرب مما أخرجه ابن الجوزي عن الشعبي (عامر بن شراحيل ت١٠٤ هـ)، قال:

بينا عبد الملك بن مَروانَ جالسٌ وعنده وجوه الناس من أهل الشام قال لهم: من أعلمُ أهل العراق؟ قالوا: ما نعلم أحدًا أعلم من عامرٍ الشَّعبيّ. فأمر بالكتاب إلي، فخرجت إليه حتى نزلت «تَدمُرَ»، فوافقتُ يوم جُمعةٍ، فدخلت أصلي في المسجد، فإذا إلى جانبي شيخ عظيم اللحية قد أطاف به قومٌ فحدَّثهم؛ قال: حدثني فلان عن فلان يبلغ به النبيّ ﷺ؛ أن الله تعالى خلق صُورينِ، في كل صورٍ نفختان: نفخةُ الصعق، ونفخة القيامة.

قال الشعبيُّ: فلم أضبط نفسي أن خففتُ صلاتي ثم انصرفت فقلت: يا شيخُ!! اتقِ اللهَ، ولا تحدثنَّ بالخطأ؛ إن الله تعالى لم يخلق إلا صورًا واحدًا، وإنما هي نفختان: نفخة الصعق، ونفخة القيامة.

فقال لي: يا فاجر، إنما يحدثني فلان عن فلان، وتَرُدُّ عليَّ. ثم رفع نعله فضربني بها، وتتابع القوم عليّ ضربًا معه. فوالله ما أقلعوا عني حتى حلفتُ لهم إن الله تعالى خلق ثلاثين صُورًا له في كل صور نفخة، فأقلعوا عني، فرحلت حتى دخلت دمشق، ودخلت على عبد الملك فسلمت عليه، فقال لي: يا شعبي! بالله حدثني بأعجب شيء رأيتَهُ في سفرك. فحدثته حديث التدمريين، فضحك حتى ضرب برجليه»[1] ا.هـ.

وبعد هذا أقول: إن كان مِن حاجةٍ لترغيب الناس وترهيبهم، فيكفي ما صح من حديث رسول الله ﷺ، وما صح من أقوال وأفعال وصفات سلفنا الصالح رضي الله عنهم أجمعين[2].

أما أن يَعمِد خطيب على منبرٍ يعظ الناس - إلى قصة يلقيها على عواهنها دون نظر في أصلها ودون تمحيصٍ لسندها، فهذا ما يعارض الأصول العلمية والقواعد المَرعِيَّةَ عند أهل العلم.

ثم إن هؤلاء الوعاظ، وأولئك القصاص لا يخلو حالهم من أمرين:

---

(١) "كتاب القصاص والمذكِّرين" (ص ٣٠٢).

(٢) وإن لم يكن في سَوقِ الضعيف وما لا أصلَ له من تلك القصص شُبهةٌ إلا حَشوُ صفحات التاريخ بما لم يُستوثَق منه، لكفى!!

الأول: إما أن تكون قصته موضوعة من أصلها، أو لا أصل لها، أو أن أصلها مُجَرَّدُ سَمَاعٍ سَمِعَهُ أحدهم من أحدهم!!

والثاني: أن يكون لها أصلٌ صحيح، إلا أنه تَزَيَّدَ فيها[١]، فلفق بين الصحيح والموضوع، والغث والسمين، وخلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا.

وهم في هذه الحال وتلك ليس لهم عُذرٌ وإن صلحت نيتهم؛ فكم من مُريدٍ للحق لم يُصبهُ !!

من أجل ذلك كانت هذه الصرخةُ الداعية إلى التصفية والتربية، وكان هذا الكتاب:

«طَلِيعَةُ الصَّحِيحِ المُسْنَدِ مِن كَرَامَاتِ الأَولِيَاءِ».

وليعلم القارىء اللبيب أن لي سَلَفًا في هذا الأمر، وهو ما صنعه شيخُ الإسلام، الإمام العلم، أبو الفرج بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ؛ فإنه قال في سِفره الماتع «نقد العلم والعلماء»[٢]:

«وقد لبس إبليس على قومٍ من المتأخرين فوضعوا حكايات في كرامات الأولياء؛ ليشيدوا - بزعمهم - أمر القوم، والحق لا يحتاج إلى تشييد بباطل، فكشف الله تعالى أمرهم بعلماء النقل».

ثم ساق - رحمه الله - بعض ما يروى من كراماتهم ثُمَّ كَرَّ عليه بالنقد الشديد سواءٌ الخارجيُّ منه أو الداخليُّ أو هما معًا، ونعني بالنقد الخارجي: نقد الإسناد، وبالنقد الداخلي: نقد المتن، فتراه في إحداها يقول:

«في هذه الحكاية من لا يوثق بروايته (نقد خارجي)، فإن صحت دلت على قلة علم هذا الرجل (نقد داخلي)».

وفي أخرى يقول:

---

(١) أعني أنه زاد فيها ما يحبكها ويحبس به أنفاس سامعيه لشدة الإثارة، وقد أخبر نبينا ﷺ أنك لست بمُستطيعٍ نقل ما قيل تمامًا، فقال: "كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع".

وقد أخرج ابن الجوزي في "القصاص والمُذَكِّرِينَ" (برقم ١٦٨)، من طريق محمد بن الحسن النقاش قال: حُدِّثتُ عن أبي الوليد الطيالسي قال: كنتُ مع شُعبة فدنا منه شابٌّ، فسأل عن حديث، فقال له: أقاصٌّ أنت؟ قال: نعم. قال: اذهب؛ فإنا لا نحدث القصاص.

فقلت له: لِمَ يا أبا بِسطَام ؟

قال: يأخذون الحديث منا شبرًا فيجعلونه ذراعًا.

(٢) وهو المعروف بـ "تلبيس إبليس".

«وعمرو بن واصل ضعفه ابن أبي حاتم. والأدمي وأبوه مجهولان».

وفي النقد الداخلي:

«ويدل على أنها حكايةٌ موضوعةٌ قولهم: «اطرح ما معك»؛ **لأن الأولياء لا يخالفون الشرع، والشرع قد نهى عن إضاعة المال...**».

وفي قصة ثالثة:

«وهذه من المحَالةِ القبيحة التي وضعها الجهال؛ **ولولا أن الجُهال يروونها مسندة فيظنونها شيئًا، لكان الإضراب عن ذكرها أولى...**».

وفي النقد الداخلي:

«هذا كذب محال، لا يشك عاقلٌ، **فلو قدرنا صحته فإن طرح نفسه من السطح حرام،** وظنَّه أن الله يتولى من فعل المنهيّ عنه[1]؛ فقد قال تعالى: **﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾** [البقرة: ١٩٥]، فكيف يكون صالحًا وهو يخالف ربه؟!».

بل إنه - رحمه الله - يحكي عن بعض من يُنسب إلى الولاية إنكارهم ما يحكيه الناس عنهم، خاصة ما لم يحدث لهم ولا علموه هم من أنفسهم؛ يقول:

«وبإسناد عن محمد بن عبد الله القرشيّ قال: حدثني محمد بن يحيى بن عمرو قال: حدثتني زُلفَى قالت: قلت لرابعة العَدَوية: يا عمةُ، لِمَ لا تأذنين للناس يدخلون عليك؟ قالت: وما أرجو من الناس؟ إن أتوني **حَكوا عَنّي ما لم أفعل.**

قال القرشي: وزادني غير أبي حاتم أنها قالت: يبلُغُني أنهم يقولون: إني أجد الدراهم تحت مصلاي، ويطبخ لي القِدرُ بغير نارٍ. ولو رأيت مثل هذا فزِعتُ منه.

قالت لها: إن الناس يكثرون فيكِ القول؛ يقولون: إن رابعة تصيب في منزلها الطعام والشراب، فهل تجدين شيئًا فيه؟

قالت: يا بنت أخي ! لو وجدتُ في منزلي شيئًا ما مسستُهُ ولا وضعت يدي عليه»[2].

ومع أن ابن الجوزيّ - رحمه الله - دفع بكفه وصدره في نحور الكذابين والوضاعين، ولم يرتض ما حكي من كرامات الأولياء حتى ينظر فيها نظر الناقد البصير، بل ولم يكتف بحسن الظن، **وكيف يفعل وإثبات كرامة لولي كإثبات معجزة لنبي؛** فكما يتطلب في الثانية إسناد صحيح، خالٍ من المثالب والعلل، فكذلك ينبغي

(١) يريد أن يقول: وظنه هذا الظن المذكور - أيضًا - حرام.

(٢) تعني: أنها تخشى أن يكون ذلك من الشيطان، وقد صرحت بذلك في رواية أخرى عنها.

أن يكون الحال في الأولى[١] ؟!

أقول: ومع فعل ابن الجوزي ما تقدم، إلا أن بعض من ينتسبون للعلم رضي لنفسه أن يكون كحاطب ليل، وجارف سيل، يجمع الحية مع العصا، ويرى - في الميزان - الوجه كالقفا، فقمّش ولم يفتش، وحفر لم ينبش[٢]، فلم يسلم من الدغل[٣] والآفة، وكان حديثه حديث خرافة[٤].

ومن أولئك المتأخرين في هذه الأعصار الشيخُ النبهانيُّ (يوسف بن إسماعيل المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ)، وذلك في كتابه «جامع كرامات الأولياء».

وقد سبق النبهانيَّ إلى مطلق جمع الكرامات: ابنُ الأعرابي، المتوفى سنة ٢٣١هـ، وذلك في كتابه «كرامات الأولياء»، وهبة الله اللالكائي المتوفى سنة ٤١٨ هـ، وابن السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ، في شذرات ذكرها ضمن كتابه الفذ «طبقات الشافعية الكبرى»، إلا أن هذه الجهود لم تخل مما ينكر، فعلى سبيل المثال لا الحصر ما ذكره ابن السبكي من أن:

١- الشيخ الأهدل (؟؟) كانت له هِرَّةٌ ضربها خادمه فماتت، فرمى بها في خرابة، فسأل عنها الشيخ بعد ليلتين أو ثلاث، فقال الخادم: لا أدري، فقال الشيخ: أما تدري؟ ثم ناداها فجاءت إليه تجري (!!).

٢- وحكاية الشيخ عبد القادر الكيلاني ووضعه يده على عظام دجاجة كان قد أكلها، وقوله لها: قومي بإذن الله الذي يحيي العظام وهي رميم، فقامت دجاجةً سويَّةً (!!).

وكأنَّ السُّبكي أحس أن هذه الأمور فيها مبالغة شديدة، فاحترز مما ذكر قائلاً:

«لم يثبت عندي أن وليًا حييَ له ميتٌ من أزمان كثيرة بعد ما صار عظمًا رميماً ثم عاش بعد ما حيي له زمانًا كثيرًا. هذا القدر لم يبلغنا، ولا أعتقده وقع لأحد من الأولياء، ولا شك في وقوع مثله للأنبياء عليهم السلام. مثل هذا يكون معجزة، ولا تنتهي إليه الكرامة...».

---

(١) وذلك أن للكرامة أثرين على الناس:

الأول: أن إثباتها لأولياء الله تعالى يدخل ضمن اعتقاد أهل السنة والجماعة.

والثاني: أن مضمونها في كل كرامة يؤثر بالإيجاب أو بالسلب على اعتقاد كل سامع أو قاريء لها.

(٢) أعني: كان يحتاج إلى دقة وتحرٍّ إلا أنه لم يفعل، بل تعجل الأمر.

(٣) الدغل في الأصل: الشجر الملتف، والمعنيّ هنا الفساد، مثل الدَّخل، وأدغل في الأمر: أدخل فيه ما يفسده ويخالفه.

ومنه كتاب الحافظ الذهبي رحمه الله "بيان دغل العلم"، وهو مطبوع بعنوان "بيان زغل العلم" (!!).

(٤) خرافة: رجُلٌ، زعموا أن الجنَّ استهوته مدة، ثم لما رجع إلى قومه أخبرهم بما رأى فكذبوه حتى صاروا يقولون لِمَا لا يمكن وقوعه: "حديث خرافة".

فكأنه لم يقتنع بوقوعه بعد ما يصير العظم رميًا وتبعد الشقة بين الحياة والموت، هذا الذي ينكر وقوعه، أما إذا كانت الفترة قصيرة بين الموت والإحياء، فهذا ليس ببعيد عنده، بل قال صراحة: «وأنا أومن به».

على ما سيأتي بيانه في حينه إن شاء الله تعالى.

ولقد شاع على لسان من تكلم في الدلائل والسمعيات ثلاثة ألفاظ هي:

المعجزة، الكرامة، السحر، وذهب العلماء يفرقون بينها وينسبون كل واحدة منها إلى أهلها، يقول المازِرِيُّ المتوفى سنة ٥٣٦ هـ - رحمه الله -:

«العادة تخرق على يد النبي والولي والساحر، والفرق:

أن النبي يتحدى بها ويُعجِزُ بها الخلق، فتدل على صدقه. والولي والساحر لا يتحديان بها، فلا يستعجزان بها الخلق، ولو تَحَدَّيَا بها لم تخرق لهما.

وأما الفرق بين الولي والساحر، فهو:

أن الساحر يكون انخراقها دليل فِسقِهِ وكفره، والولي لا يكون ذلك عَلَمًا على ذلك فيه، فافترق حد الثلاثة.

وأيضًا فإن الساحر إنما تنخرق له عن أشياء[١] يفعلها وقوى يَمزُجُها، ومعاناةٍ وعلاجٍ، والوليُّ لا يفتقر إلى ذلك، وكثيرًا ما يقع ذلك منه بالاتفاق... »[٢].

وقد نقل الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في «الفتح» كلامًا شبيهًا بهذا، ثم قال:

«ونقل إمام الحرمين (يعني الجُوَيْنِيَّ الأشعري) الإجماع على أن السحر لا يظهر إلا من فاسق، وأن الكرامة لا تظهر على فاسق».

قال الحافظ:

«وينبغي أن يُعتَبَر بحال من يقع الخارق منه، فإن كان متمسكًا بالشريعة، مجتنبًا للموبقات، فالذي يظهر على يده من الخوارق كرامة، وإلا فهو سحر؛ لأنه ينشأ عن أحد أنواعه؛ كإعانة الشياطين»[٣].

وأما ما مشى عليه جُلُّ من تكلم في التفرقة بين الكرامة والمعجزة والسحر، من

---

(١) أي بسبب أمور يصنعها.

(٢) إكمال إكمال المعلم، لأبي عبد الله محمد بن خلفة الأُبّي (ت ٨٢٧ هـ)، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - (د.ت) (٨/٦).

(٣) "فتح الباري" (٢٢٣/١٠).

جعل الفارق بين هذه كلها هو التحدي، فإن ابن حزم يرد - بحق - على هؤلاء، وفي مقدمتهم أبو بكر الباقلاني الأشعري، وقد ذكر - رحمه الله - وجوهًا في الرد عليهم، أذكرها له مع حذف كلامه الشديد، يقول:

أحدها: أن اشتراط التحدي في كون آية النبي آيةً دعوة كاذبةٌ سخيفة، لا دليل على صحتها، لا من قرآنٍ ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة، ولا من إجماع ولا قولِ صاحبٍ، ولا من حجةِ عقلٍ، ولا قال بهذا أحد قط قبل هذه الفرقة الضعيفة...

وثانيها: أنه لو كان ما قالوا[1]، لسقطت أكثر آيات رسول الله ﷺ؛ كنبعان الماء من بين أصابعه، وإطعامه المئين والعشرات من صاعِ شعيرٍ وعَناق، ومرة أخرى من كِسَرٍ ملفوفة في خمار، وكتفلِهِ في العين فجاشت بماء غزير إلى اليوم (؟!)، وحنين الجِذع، وتكلم الذِّراع، وشكوى البعير والذئب، والإخبار بالغيوب، وتمر جابر، وسائر معجزاته العظام؛ لأنه عليه السلام لم يتحد بذلك كله أحدًا، ولا عمله إلا بحضرة أهل اليقين من أصحابه، رضي الله عنهم، ولم يبق له آية حاشا القرآن، ودعاء اليهود إلى تمني الموت، وشقَّ القمر فقط...[2].

والثالث - وهو البرهانُ الدامغ -: قول الله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩].

فسمى الله تعالى تلك المعجزات المطلوبة من الأنبياء عليهم السلام آيات، ولم يشترط عز وجل في ذلك تحدِّيًا من غيره، فصح أن اشتراط التحدي باطل محض، وصح أنها إذا ظهرت فهي آية، كان هنالك تحدٍّ أو لم يكن...

والخامس: أنه لو كان ما قالوا، وجاز ظهور معجزة من ساحر لا يتحدى بها، أو فاضل لا يتحدى بها، لأمكن أن يتحدى لهما بها بعد موتهما من ضل فيهما[3]؛ كما فعلت الغلاة بعلي رضي الله عنه....»[4].

(١) يعني: صحيحًا، أو ثابتًا، أو قائمًا. وحذف خبر "كان" جائز، وقد تكون "كان" ههنا تامة.

(٢) وأما شق القمر، فليس باقيًا إنما كان لوقته، وقد رآه الناس يومها شِقَّين بينهما الجبل.

(٣) يعني بعض أتباعهما.

(٤) الفِصَل في الملل والأهواء والنحل (٤/١٠٥-١٠٦)، ط. دار الجيل - بيروت - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

قلت: والمقصود أن هؤلاء الذين أقاموا التفرقة بين الخوارق الثلاثة نظروا إلى من صدر عنه خارقة العادة، ففرقوا به، وأما ماهِيَّةُ كل واحدة من المعجزة والكرامة والسحر، فيرون جميعهم أنها واحدة من حيث كونها إحدى خوارق العادات.

إلا أنه سيرد في كلام السبكي بعد ذلك أن بعض الخوارق لا تكون أبدًا من ولي ولا غيره إلا لنبيٍّ؛ كما أنه للنبي خصائصه التي لا يَشرَكُهُ فيها أحد؛ فـ «معاذ الله أن يتحدى نبيٌّ بكرامة تكررت على يد وليٍّ...».

ومع ظهور ما تقدم إلا أن بعضًا ممن ينتسب إلى أهل القبلة أنكر أن تقع كرامةٌ أصلاً، وهؤلاء - وهُم القدرية - لا يعتدُّ بخلافهم، بل يقال عنهم:

وما عسى يبلغ عضُّ النمل (؟!!).

وَلَيسَ يَصِحُّ فِي الأَذهَانِ شَيءٌ إذا احتَـاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيـلِ

وهم ما أنكروا ما أنكروه إلا أن الله تعالى لم يُكرم آحادهم بكرامة، ومن جهل شيئًا عاداه !!

ولقد وقفتُ - فيما وقفت عليه - على كلام نفيس لتاج الدين ابن السبكي رَقَمَهُ في خبايا الزوايا من كتابه المبارك «طبقات الشافعية الكبرى»، وقد كان مما يجلب الحيرة ويقضي العجب أن أرى أمثال هؤلاء الأشاعرة يسطُرون هذه البحوث المطولة، في حين لا نجد لعلماء السلف إلا الشذرة بعد الشَّذرة.

وعلى أية حال، فأنا أسوق كلامه مختصرًا في بعض الأحيان ومنتقدًا له في أحايين أخرى، يقول - بعد كلام -[1]:

فقلت: قد اشتمل كلام أبي تُراب هذا على فصلين مهمين.

أحدهما: أن الكرامات والمكاشفات ليست خدعًا إلا لمن يقف عندها ويجعلها شوقه ومقصوده، ولا شك في هذا؛ وقد بالغ قوم في تعظيمها بحيث سلبوا بها المواهب، وبالغ آخرون في امتهانها، بحيث لم يُعدُّوها شيئًا؛ والحق ما ذكره أبو تُراب من أن السكون إليها نقص. فمن الواضح الجَلِيّ الذي لا ينكره عارف أن العارف لا يقف عندها، وإنما مطلوبه وراءها، وهي تقع في طريقه، وليس للواقع في الطريق من الطريق صفة، ومن وقف عندها سقط في مَهاوِي الهَلَكات، ومَن كانت هي مطلوبه

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: (٢/٣١٤-٣٢١)، طبعة د. عبد الفتاح الحلو .

فهو مغرور، ويبعد وصوله إليها، وإنما يصل إليها من لا يراها. فافهم ما يُلقَى إليك.

فإن قلتَ: فلأيّ معنى يُظهرها مظهروها، وهي على ما تزعم أشياء لا يُلقون إليها بالاً؟

قلتُ: ظهورها يقع على أنحاء ربما لم يكن باختيار صاحبها، وهو كثير، بل صار بعض الأئمة كما نقل إمام الحرمين في «الشامل» إلى أن الكرامات لا تكون أبدًا إلا على هذا الوجه. فعلى هذا الوجه لا سؤال؛ ولكن هذا مذهب ضعيف غير مَرضِيٍّ عند المحصِّلين، ولا سؤال عليه، وربما كان هو المظهَر بها؛ وإنما يكون ذلك لفائدة دينية، من تربية أو بِشارة، أو نِذارة، أو غير ذلك حيث يؤذَن فيه، ولا يجوز إظهارها حيث لا فائدة، فذلك عند القوم غير جائز له.

والفصل الثاني: أن الكرامات حق، وقول أبي تُراب «مَن لا يؤمن بها فقد كفر» بالغ في الحطّ من منكريها، وقد تُؤوِّل لفظةُ الكفر في كلامه، وتُحمَل على أنه لم يعن الكفر المخرِج من المِلَّة، ولكنه كُفر دون كُفر.

وإني لأَعجب أشدَّ العجب من منكرها، وأخشى عليه مَقت الله، ويزداد تعجبي عند نسبة إنكارها إلى الأستاذ أبي إسحاق الأسفَرايِنيّ، وهو من أساطين أهل السنة والجماعة[1]! على أن نسبة إنكارها إليه على الإطلاق كَذِبٌ عليه؛ والذي ذكره الرجل في مصنفَّاته أن الكرامات لا تبلغ مبلغ خَرق العادة.

قال: وكلّ ما جاز تقديره معجزةً لنبيٍّ لا يجوز ظهور مثله كرامةً لوليّ.

قال: وإنما بالغُ الكرامات إجابة دعوة، أو موافاة ماء في بادية في غير موقع المياه، أو مُضاهِي ذلك، مما ينحطّ عن خَرق العادة، ثم مع هذا قال إمام الحرمين وغيره من أئمتنا: هذا المذهب متروك.

قلت: وليس بالغًا في البشاعة مبلغ مذهب المنكِرين للكرامات مطلقًا، بل هو مذهب مفصِّل بين كرامة وكرامة، رأى أن ذلك التفصيل هو المميِّز لها من المعجزات.

وقد قال الأستاذ الكبير أبو القاسم القُشَيريّ في «الرسالة»[2]: إن كثيرًا من المقَدورات يُعلَم اليوم قطعًا أنه لا يجوز أن يظهر كرامةً للأولياء، لضرورة أو شبه ضرورة يعلم ذلك، فمنها حصول الإنسان لا من أبوين، وقلب جمادٍ بهيمةً أو حيوانًا، وأمثال هذا يكثر. انتهى.

---

(١) يعني الأشاعرة، زعم، وليسوا سوى فرقة مبتدعة في دين الله تعالى!

(٢) صفحة ٢٠٨.

وهو حق لا ريب فيه، وبه يتضح أن قول مَن قال: ما جاز أن يكون معجزةً لنبيٍّ جاز أن يكون كرامةً لولي. ليس على عمومه، وأن قول من قال: لا فارِق بين المعجزة والكرامة إلا التحدي. ليس على وجهه، ولعلنا نبحث عن هذا في آخر الفصل؛ وسبيلنا حيث انتهينا إلى هذا الفصل أن نستقصيَ شُبَهَ المنكرين للكرامات، ونستأصل شَأفتهم بتقرير الرد عليهم، ثم نذكر البراهين الدالة على الإثبات، ونختمها بتتمات.

شُبهة للقَدَرِيَّة في منع الكرامات، وذكر فسادها

قالوا: تجويز الكرامة يُفضي إلى السَّفسطة؛ لأنه يقتضي تجويز انقلاب الجبل ذهبا إبرِيزا، أو البحر دما عَبِيطا، وانقلاب أواني يتركها الإنسان في بيته أئمةً فضلاء مدقِّقين.

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

أحدها: أنا لا نسلِّم بلوغ الكرامة إلى هذا المبلغ، كما اقتضاه كلام القُشَيرِيّ.

والثاني: وهو ما اقتضاه كلام أئمتنا أنا نجوِّز بلوغها هذا المبلغ، ولكن لا يقتضي ذلك سَفسَطة؛ لأن ما ذكرتم بعينه وارد عليكم في زمان النبوة، فإنه يجوز ظهور المعجزة بذلك، ولا يؤدي إلى سَفسطة.

والثالث: أن التجويزات العقلية لا تقدح في العلوم العادية، وجواز تغيّرها بسبب الكرامة تجويز عقليّ فلا يقدح فيها.

شبهة ثانية لهم، وتبيين الانفصال عنها

قالوا: لو جازت الكرامة لاشتبهت بالمعجزة، فلا تبقى للمعجزة دلالةٌ على ثبوت النبوة.

والجواب: منع الاشتباه؛ وهذا لأن المعجزة مقرونة بدعوى النبوة، ولا كذلك الكرامة، بل الكرامة مقرونة بالانقياد للنبيّ ﷺ، وتصديقه، والسير على طريقه.

وقولهم: «إنما دلت المعجزة على تصديق النبيّ من حيث انخراقُ العادة، فكذلك الكرامة» كلام ساقط؛ فإن مجرد خَرق العادة ليس المقتضي للنبوّة، ولو دلّ خَرق العادة على النبوة بمجرده لوجب أن تدل أشراط الساعة وما سيظهر منها على ثبوت نبوة، إذ العوائد تنخرق بها، ومن أعظم البدائع فِطرة السموات والنشأة الأولى، ثم لم تقتض بدائع الفِطرة في نشأة الخلق ثبوت نبيّ! فاستبان أن مجرد خَرق العادة

لايدل؛ إذ لو دلّ لاطرد، بل لابد معه من التحدي، فلا اشتباه للكرامة بالمعجزة، وأيضًا فالمعجزة، يجب على صاحبها الإشهار، بخلاف الكرامة، فإن مبناها على الإخفاء، ولا تظهر إلا على النَّدرة والخصوص، لا على الكثرة والعموم؛ وأيضًا فالمعجزة تجوز أن تقع بجميع خوارق العادات، والكرامات تختص ببعضها، كما بيناه من كلام القُشَيريّ، وهو الصحيح. ولسنا نجوّز ولدا لا من أبوين، ولا نحو ذلك. كما سنستقصي القول فيه.

شبهة ثالثة لهم، ووجه الانفصال عنها

قالوا: لو ظهرت لوليٍّ كرامة لجاز الحكم له بمجرد دعواه أنه يملك حَبّة من الحنطة أو فَلسا واحدًا من الفلوس، من غير بينة؛ لظهور درجته عند الله تعالى المانعة من كذبه، لا سيما في هذا النزر اليسير، لكنه باطل؛ لإجماع المسلمين المؤيَّد بقول رسول رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين: «البَيِّنَةُ عَلَى المُدَّعِي وَاليَمِينُ عَلَى مَن أَنكَرَ».

والجواب: أن الكرامة لا توجب عِصمة الوَليّ، ولا صِدقَه في كل الأمور، وقد سئل شيخ الطريقة، ومقتدي الحقيقة أبو القاسم الجنيد رحمه الله: أيزني الوليّ؟ فقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[1] [الأحزاب: ٣٨] وهب أن الظن حاصل بصِدقه فيما ادعاه إلا أن الشارع جعل لثبوت الدعوى طريقًا مخصوصًا، ورابطًا معروفًا لا يجوز تعدّيه، ولا العدول عنه، ألا ترى أن كثيرًا من الظنون لا يجوز الحكم بها؛ لخروجها عن الضوابط الشرعية.

شبهة أخرى لهم، وكَشفُ عَوَارِها

قالوا: لو جاز ظهور خوارق العادات على أيدي الصالحين لجاز سرًّا كما يجوز جهرًا، ولو جاز سرًّا لما أمكننا أن نستدل على نبوة الأنبياء بظهورها على أيديهم، فثبت أن ظهورها على الصالحين سرًّا ممتنع، وإذا لم يجز ظهورها عليهم سرًّا فأولى ألا تجوز جهرًا؛ لأن كل مَن جوَّز ظهورها عليهم لم يشترط أن تظهر علانية، بل من أصول

(١) وهو يعني أنه لو كتب عليه ذلك لفعله، وقد قال النبي ﷺ: "كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة..." الحديث، إلا أنه لا يحتج بالقدر في المعاصي.

معظم جماعتكم أن الأولياء لا يُظهرون الكرامات ولا يَدعون بها، وإنما تظهر سرًّا وراء سُتور، ويتخصص بالاطلاع عليها آحادُ الناس، فثبت أنها لو جازت لجازت سرًّا، إذ لا قائـل بالفَصـل، ولأنـه أولى بـالجواز مـن العلانيـة، لكـن جوازهـا سرًّا يُفضي إلى ألا يُستدل بها على النبوة، لأنه يجوز ظهورها متواليةً على استمرار، وإن كـان ذلك مُخفِيًّا مستترًا، وتكـون موجـودة مستمرة بحيث تلتحق بحكم المعتاد، فإذا ظهر نبيّ وتحدى بمعجزة، جاز أن تكون هي بعض ما اعتاده أولياء عصره مـن الكرامات، ولا يتحقق في هذا النبي خرقُ العوائد، فكيف السبيل إلى تصديقه؟

هـذا حاصل شُبهتهم هذه، ثم حرروا عنها عبارة فقالوا: إذا تكـرر ما يَخرِق العوائد عـلى الأوليـاء أفضى ذلـك إلى التحـاق خـوارق العـادات في حقوقهـم بالمعتـادات، وصارت عاداتهم خِلافَ العادات، فلو ظهر نبيٌّ في زمنهم كانت عوائدهم في انخراق العوائد في أحوالهم تصدُّهم عن تصحيح النظر في المعجزة.

ثم أخرجوا الشبهة على وجه آخر فقالوا: لو جاز إظهارها على صالح لجاز إظهارها على صالح آخر إكرامًا لـه، وهكذا إلى عدد كثير، إذ ليس اختصاص عدد منهم بذلـك أولى مـن عدد آخر، وحينئذ يصير عادة فلا يبقى ظهورها دليلاً على النبوة، ويُطوَى بساط النبوة رأسًا.

وجميع ما ذكروه في هذه الشبهة تمويه، لا حاصل تحته، وقَعقَعة لا طائلَ فيها. ولأئمتنا في ردها وجهان:

فمـن أئمتنـا مَن منع تـوالي الكرامات واستمرارَهَا حتى تصـير في حكـم العوائد، وخلص بهذا المنع عن إلزامهم، بل امتنع بعض المحققِّين من تصوّر توالي المعجزات على الرسل المتعاقبين، إذ كان يؤدي إلى أن تصير المعجزات معتادة. فهذه طريقة في الرد على هذه الشبهة، حاصلها:

أنا إنما نجوّز ظهور الكرامات على وجه لا يصير عادة، فاستبان أنه خاصٌّ بشبهتهم هذه، وأنها لم تقدح في أصل الكرامات، وإنما تضمنت منع كُرورها، والتحاقها بالمعتاد.

ومن أئمتنا - وهم المُعظَم - من جوز توالي الكرامات على وجه الاختفاء، بحيث لا تظهر ولا تَشيع ولا تلتحق بالمعتاد؛ لئلا تخرج الكرامة عن كونها كرامةً عند عامة الخلق. ثم قالوا: الكرامة وإن توالت على الوليّ حتى أَلِفَها واعتادها فلا يخرجه ذلك عن طريق الرشاد، وَوَجهِ السداد في النظر إذا لاحت المعجزة، إن وافقه التوفيق، وإن

تعداه التوفيق سُلِب الطريق، ولم يكن بوليٍّ على التحقيق، والمعجزةُ تَتَمَيَّزُ عمن تكررت عليه الكرامةُ بالإظهار والإشاعة والتحدّي ودعوى النبوة؛ فإذا تميزت الكرامة عن المعجزة لم ينسد باب الطريق إلى معرفة النبيّ.

ومِن تمام الكلام في ذلك أن أهل القِبلة متفقون على أن الكرامات لا تظهر على الفَسَقة الفَجَرة، وإنما تظهر على المتمسكين بطاعة الله عز وجل.

وبهـذا لاح أن الطريق إلى معرفة الأنبياء لا ينسد؛ فإن الوليّ بتوفيق الله تعالى ينقاد للنبي إذا ظهرت المعجزة على يديه، ويقول: معاشر الناس، هذا نبي الله فأطيعوه ويكون أول منقاد له، ومؤمنٍ به.

والقاضي أبو بكر، وإن شبَّب بمنع هذا الإجماع وقال: لو جوز مجوِّز ظهور بعض خوارق العادات على بعض الفَسَقَة استدراجًا لكان مذهبًا، كما أنه لا يَبعُد ظهورها على الرُّهبان المتبتّلين وأصحاب الصوامع على كفرهم. فهذا كما قال إمام الحرمين فيه نظر، ولسنا نثبت لراهبٍ كرامةً، ولا كيد ولا كرامة. ومحلُّ استيفاء القول على ذلك لا يحتمله هذا المكان.

والحاصل: أن ما يظهر على يد الرهبان ليس من الكرامات، وأما توقف القاضي في الفَسَقة والفَجَرة فأنا معه، لكن لا على الإطلاق؛ بل أفصّل فأقول:

لو ذهب ذاهب إلى تجويز ظهور الكرامة على يد الفاسق إنقاذًا له مما هو فيه، ثم يتوب بعدها ويثبت لا محالة، وينتقل إلى الهدى بعد الضلالة، لكان مذهبًا، ويقرُب منه قصة أصحاب الكهف التي سنحكيها؛ فقد كانوا عَبَدَة أصنام ثم حصل لهم ما حصل؛ إرشادًا وتبصرة؛ ثم ما ذكره الخصوم من حديث اشتباه النبي بغيره إذا وافقت المعجزة الكرامة قد تبين الانفصال عنه.

وأنا أقول: مَعاذَ اللهِ أن يتحدَّى نبي بكرامة تكررت على يد وليّ! بل لابد أن يأتي النبي بما لا يوقعه الله على يد الولي؛ وإن جاز وقوعه فليس كل جائز في قضايا العقول واقعًا. ولما كانت مرتبة النبي أعلى وأرفع من مرتبة الولي كان الولي ممنوعًا مما يأتي به النبي على وجه الإعجاز والتحدِّي؛ أدبًا مع النبي.

ثم أقول: حديث الاشتباه والانسداد على بطلانه، إنما يقع البحث فيه حيث لم تُختم النبوة، أما مع مجيء خاتم النبيين الذي ثبتت نبوته بأوضح البراهين، وإخباره بأنه لا نبيَّ بعده؛ فقد أمِنا الاشتباه، فلو صح ما ذُكر من الاشتباه والانسداد لكان في

حكم الأولياء من الأمم السالفة، لا في حكم الأولياء من هذه الأمة؛ لأمنهم من أنه لا نبيّ بعد نبيهم ﷺ، هذا لو صح، ولن يصح أبدًا.

شبهة خامسة لهم، وتقرير بطلانها

قالوا: لو كان للكرامات أصل لكان أولى الناس بها أهل الصّدر الأول، وهم صفوة الإسلام وقادة الأنام، والمفضّلون على الخليقة بعد الأنبياء عليهم السلام، ولم يؤثر عنهم أمر مستقصى.

وهذا الذي ذكروه تعلُّل بالأمانيّ، وهو قول مرذول مردود! فلو حاول مُستقص استقصاء كرامات الصحابة رضي الله عنهم لأجهد نفسه، ولم يصل إلى عُشر العُشر، ولا بأس هنا بذكر يسير من كرامات الصحابة رضي الله عنهم، والكلام على السرّ في ظهورها، وإظهارها على وجه الاختصار؛ ليُستفاد بكلامنا على ما نورده من القليل ما يستعان به على ما نُغفله من الكثير.

فنقول: اعلم أولاً أن كل كرامة ظهرت على يد صحابي أو وَلِي، أو تظهر إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين فإنها معجزة للنبي ﷺ؛ لأن صاحبها إنما نالها بالاقتداء به ﷺ وهو معترف له بأنه مقدَّم خليقة الله، وصفوتهم، وسيد البشر الذي مِن بحره تُستخرَج الدُّرَر، ومن غيثه يُستنزل المطر؛ وهذا المعنى يصلح أن يكون سببًا إجماعيًّا عامًّا في الإظهار، لا سيّما في عصر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين؛ فإن الكفار إذا رأوا ما يظهر على يديهم من الخوارق آمنوا بنبيهم ﷺ، وعلموا أنهم على الحق، فربما كان هذا سببًا في الإظهار. إذا علمت ذلك: فمن الكرامات على يد أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه.

ثم ذكر رحمه الله ما تيسر له من كرامات الصحابة رضوان الله عليهم، وبعضها ثابت والآخر لم يثبت، وسيرد الصحيح منها في موضعه من هذا الكتاب يسر الله إتمامه.

ثم قال:

فإن قلت: ما بال الكرامات في زمن الصحابة وإن كثرت في نفسها قليلة بالنسبة إلى ما يُروى من الكرامات الكائنة بعدهم على يد الأولياء؟

فالجواب أولاً: ما أجاب به الإمام الجليل أحمد بن حنبل رضي الله عنه، حيث

سُئل عن ذلك فقال: أولئك كان إيمانهم قويًا، فما احتاجوا إلى زيادة يقوَى بها إيمانهم، وغيرهم ضعيف الإيمان في عصره، فاحتيج إلى تقويته بإظهار الكرامة.

ونظيره قول الشيخ السُهرَوَردِي رحمه الله حيث قال: وخَرق العادة إنما يُكاشف به لموضع ضعف يقين المكاشف، رحمةً من الله تعالى لعباده العُبَّاد ثوابًا معجَّلاً. وفوق هؤلاء قوم ارتفعت الحُجُب عن قلوبهم فما احتاجوا إلى ذلك.

وثانيًا أن يقال: ما يظهر على يدهم ربما استُغني عنه اكتفاءً بعظيم مِقدارهم، ورؤيتهم طلعة المصطفى ﷺ، ولزومهم طريق الاستقامة الذي هو أعظم الكرامة، مع ما فُتح على يديهم من الدنيا، ولا اشرَأَبُّوا لها، ولا جَنحوا نحوها، ولا استزلَّت واحدًا. فرضي الله عنهم، كانت الدنيا في أيديهم أضعاف ما هي في أيدي أهل دنيانا، وكان إعراضهم عنها أشدَّ إعراض، وهذا من أعظم الكرامات، ولم يكن شَوقُهم إلا إعلاء كلمة الله تعالى، والدعاء إلى جَنابه جلّ وعلا.

فإن قلت: هب أنكم دفعتم شبه المنكرين للكرامات، فما دليلكم أنتم على إثباتها؟ فإن القول في الدِّين نفيًا وإثباتًا محتاج إلى الدليل.

قلت: إذا اندفع ما استدل به الخصوم على المنع وبطلت الاستحالة لم يبق بعدها إلا الجواز؛ إذ لا واسطة بين المنع والاستحالة، ثم فيما ذكرناه من الواقعات على يد الصحابة مَقنَع لمن له أدنى بصيرة؛ ثم إن أبَيتَ إلا دليلاً خاصًا ليكون أقطع للشَّغَب وأنفى للشُّبَه.

فنقول: الدليل على ثبوت الكرامات وجوه:

أحدها، وهو أوحدها، ما شاع وذاع بحيث لا ينكره إلا جاهل معانِد من أنواع الكرامات للعلماء والصالحين، الجاري مجرى شجاعة عليّ، وسخاء حاتم، بل إنكار الكرامات أعظم مُباهتةً؛ فإنه أشهر وأظهر، ولا يعاند فيه إلا من طُمِس قلبه والعياذ بالله.

والثاني: قصة مريم من جهة حَبَلها من غير ذَكَر، وحصول الرُّطَب الطَّرِيّ من الجِذع اليابس، وحصول الرزق عندها في غير أوانه ومن غير حضور أسبابه، على ما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧] وهي لم تكن نبيَّة، لا عندنا ولا عند الخصوم.

أما عندنا فلأدلة، منها قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥] ومنها الإجماع، على ما نقل بعضهم.

وأما عند الخَصم فلأنه يشترط أن يكون النبيُّ ذَكَرًا. ونحن لا نُخالفه في ذلك، بل نشترط الذكورة في الإمامة والقضاء، فضلاً عن النبوة. هكذا ذكر بعض أئمتنا، فقال القاضي: لم يقم عندي من أدلة السمع في أمر مريم وجه قاطع في نفي نبوتها أو إثباتها.

فإن قلت: لم لا يجوز أن تكون معجزة لزكريا، أو يكون إرهاصًا لولدها عيسى عليهم السلام؟

قلت: لأن المعجزة تجب أن تكون بمشهد من الرسول والقوم حتى يقيم الدلالة عليهم. وما حكيناه من كراماتها نحو قول جبريل لها: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥] لم يكن بحضور أحد، بدليل قوله: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦]. وأيضًا فالمعجزة تكون بالتماس الرسول، وزكريا ما كان يعلم بحصول ذلك، لقوله: ﴿أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ [آل عمران: ٣٧]. وأيضًا فهذه الخوارق إنما ذُكرت لتعظيم شأن مريم، فيمتنع وقوعها كرامةً لغيرها.

ولا يجوز أن تكون إرهاصًا لعيسى عليه السلام؛ لأن الإرهاص أن يُختص الرسول قبل رسالته بالكرامات، فأما ما يحصل به كرامةُ الغير لأجل أنه سيجيء بعد ذلك، فذلك هو الكرامة التي يدَّعيها، ولأنه لو جاز ذلك لجاز في كل معجزة ظهرت على يد مدعي الرسالة أن تكون إرهاصًا لنبيٍّ آخر، يجيء بعد ذلك، وتجويز هذا يؤدي إلى سَدِّ باب الاستدلال بالمعجزة على النبوة.

وقريب من قصة مريم قصة أم موسى عليه السلام، وما كان من إلهام الله تعالى إياها حتى طابت نفسها بإلقاء ولدها في اليَمّ، إلى غير ذلك مما خُصَّت به. أَفَتُرَى ذلك سُدًى؟

قال إمام الحرمين: ولم يَصِر أحدٌ من أهل التواريخ ونَقَلَة الأقاصيص إلى أنها كانت نَبِيَّةً، صاحبة معجزة.

والثالث: التمسك بقصة أصحاب الكهف؛ فإن لُبثهم ثلاثَ مائةٍ سنين وأزيد، نيامًا أحياء من غير آفة، مع بقاء القوة العادية بلا غذاء ولا شراب، من جملة الخوارق، ولم يكونوا أنبياء، فلم تكن معجزة فتعين كونها كرامة.

وادعى إمام الحرمين اتفاق المسلمين على أنهم لم يكونوا أنبياء، وإنما كانوا على دين

ملِك في زمانهم يعبد الأوثان، فأراد الله أن يَهديهم فشرح صدورهم للإسلام، ولم يكن ذلك عن دعوة داع دعاهم، ولكنهم لما وقفوا تفكروا وتدبَّرُوا ونظروا، فاستبان لهم ضلال صاحبهم، ورأوا أن يؤمنوا بفاطر السموات والأرضين، ومُبدِع الخلائق أجمعين.

ولا يمكن أن يُجعل ذلك معجزة لنبيّ آخر.

أما أولاً، فلأنهم أخفوه حيث قالوا: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩] والمعجزة لا يمكن إخفاؤها.

وأما ثانيًا؛ فلأن المعجزة يجب العلم بها، وبقاءهم هذه المدة لا يمكن عِلم الخلق به؛ لأن الخلق لم يشاهدوه، فلا يُعلم ذلك إلا بإخبارهم لو صح أنهم يعلمون ذلك، وإخبارهم بذلك إنما يفيد إذا ثبت صدقهم بدليل آخر، وهو غير حاصل؛ وأما إثبات صدقهم بهذا الأمر فدَورٌ ممتنع؛ لأنه إنما يثبت هذا الأمر إذا ثبت صدقهم، فلو توقف صدقهم عليه لدارَ.

وأما ثالثًا؛ فإنه ليس لذلك النبي ذِكر، ولا دليل يدل عليه، فإثبات المعجزة له لا فائدة فيه؛ لأن فائدة المعجزة التصديق، وتصديق واحد غير معيَّن محال.

الرابع: التمسك بقصص شتَّى؛ مثل قصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام في حمل عرش بلقيس إليه قبل أن يرتدَّ إليه طَرفُه، على قول أكثر المفسرين بأنه المراد بالذي عنده عِلمٌ مِن الكتاب، وما قدمناه عن الصحابة، وما تواتر عمَّن بعدهم من الصالحين، وخرج عن حد الحصر، ولو أراد المرء استيعابه لما كفته أوساق أحمال ولا أوقار جِمال. وما زال الناس في الأعصار السابقة، وهم بحمد الله إلى الآن في الأزمان اللاحقة، ولكنا نستدل بما كانوا عليه، فقد كانوا من قبل ما نَبَغَ النابغون، ونشأ الزائغون، يتفاوضون في كرامات الصالحين، وينقلون ما جرى من ذلك لعُباد بني إسرائيل، فَمَن بعدهم، وكانت الصحابة رضي الله عنهم من أكثر الناس خوضًا في ذلك.

الخامس: ما أعطاه الله تعالى لعلماء هذه الأمة وأوليائها من العلوم، حتى صنفوا كتبًا كثيرة، لا يمكن غيرهم نسخُها في مدة عُمر مصنِّفها، مع التوفيق لدقائق تخرج عن حد الحصر، واستنباطات تُطرب ذوي النُّهَى، واستخراجات لمعانٍ شتى من الكتاب والسنة تُطبق طَبَق الأرض، وتحقيق للحق، وإبطال للباطل، وما صبروا عليه من المجاهدات والرياضات، والدعوى إلى الحق والصبر على أنواع الأذى، وعُزوف

أنفسهم عن لذات الدنيا، مع نهاية عقولهم وذكائهم وفِطنتهم، وما حُبّبَ إليهم من الدأب في العلوم، وكد النفس في تحصيلها، بحيث إذا تأمل المتأمل ما أعطاهم الله منه عرف أنه أعظم من إعطائه بعض عبيده كِسرَة خبز في أرض منقطعة، وشَربة ماء في مَفازة، ونحوهما مما يُعَدّ كرامة.

فإن قلت: قد أكثرتم القول في الكرامات، وما أفصحتم بالمختار عندكم من الأقوال المنقولات!

قلت: هذا مقامٌ معضِلٌ خَطِر، والاحتجار على مواهب الله لأوليائه عظيمٌ عَسِر، والاتساع في التجويز آيل إلى فتح باب على المعجزات مسدود.

والذي يترجّح عندي القول بتجويز الكرامات على الإطلاق إذا لم تَخرِق عادة، وبتجويز بعض خوارق العوائد دون بعض؛ فلا أمنع كثيرًا من الخوارق، وأمنع كثيرًا. ولي في ذلك قدوة، وهو أبو القاسم القُشَيري رحمه الله تعالى.

فإن قلت:: عرّفني ما تمنعه وما لا تمنعه ليتبين مذهبك.

قلت: أمنع ولدًا من غير أبوين، وقلب جماد بهيمةً، ونحو ذلك. وسيتضح لك ذلك عند ذكر الأنواع التي أبديها على الأثر إن شاء الله تعالى.

وأما جمهور أئمتنا فعمموا التجويز، وأطلقوا القول إطلاقًا. وأخذ بعض المتأخرين يعدّد أنواع الواقعات من الكرامات فجعلها عشرة، وهي أكثر من ذلك، وأنا أذكر ما عندي فيها:

النوع الأول: إحياء الموتى[1]. واستشهد لذلك بقصة أبي عُبيد البُسرِي؛ فقد صح أنه غزا ومعه دابة فماتت فسأل الله أن يحييها حتى يرجع إلى بُسر، فقامت الدابة تنفض أذنيها، فلما فرغ من الغزوة ووصل إلى بُسر أمر خادمه أن يأخذ السَّرج عن الدابة، فلما أخذه سقطت ميتة.

والحكايات في هذا الباب كثيرة. ومن أواخرها أن مُفَرّجا الدَّمامِيني وكان من أولياء الله من أهل الصعيد ذُكر أنه أُحضرت عنده فِراخ مشوية فقال لها: طيري فطارت أحياءً بإذن الله تعالى.

وأن الشيخ الأهدل كانت له هِرّة ضربها خادمه فماتت فرمى بها في خَرابة، فسأل

(١) وسيأتي بعد ذلك تحرز المصنف من هذا النوع، وقد أصاب في تحرزه.

عنها الشيخ بعد ليلتين أو ثلاث، فقال الخادم: لا أدري، فقال الشيخ: أما تدري؟ ثم ناداها فجاءت إليه تجري.

وحكاية الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه ووضعه يده على عِظام دَجاجة كان قد أكلها، وقوله لها: قومي بإذن الله الذي يُحيي العِظام وهي رَميم، فقامت دجاجةً سويةً، حكايةٌ مشهورة.

وذكروا أن الشيخ أبا يوسف الدُّهماني مات له صاحب فَجزِع عليه أهلهُ، فلما رأى الشيخ شدة جزعهم جاء إلى الميت وقال له: قم بإذن الله، فقام وعَاش بعد ذلك زمنًا طويلاً.

وحكاية زين الدين الفارِقي الشافعي مدرس الشامية، شهيرة، وقد سمعتها من لفظ ولده وَلي الله الشيخ فتح الدين يحيى؛ فحكى لنا ما سنحكيه في ترجمة والده، مما حاصله أنه وقع في داره طفل صغير من سطح فمات، فدعا الله فأحياه.

ولا سبيل إلى استقصاء ما ***يُحكى*** من هذا النوع لكثرته، وأنا أومن به، غير أني أقول:

لم يثبت عندي أن وليًا حَيِيَ له ميت مات من أزمان كثيرة بعد ما صار عظمًا رميمًا ثم عاش بعد ما حَيي له زمانًا كثيرًا؛ هذا القدر لم يبلغنا، ولا أعتقده وقع لأحد من الأولياء ولا شك في وقوع مثله للأنبياء عليهم السلام، مثل هذا يكون معجزة، ولا تنتهي إليه الكرامة، فيجوز أن يجيء نبي قبل اختتام النبوة بإحياء أمم انقضت قبله بدُهور، ثم إذا عاشوا استمروا في قِيد الحياة أزمانًا، ولا أعتقد الآن أن وليًا يُحيي لنا الشافعي وأبا حنيفة حياة يبقيان معها زمانًا طويلاً، كما عمرا قبل الوفاة، بل ولا زمانًا قصيرًا يخالطان فيه الأحياء كما خالطاهما قبل الوفاة.

النوع الثاني: كلام الموتى، وهو أكثر من النوع قبله، ***وروي*** مثله عن أبي سعيد الخَرَّاز رضي الله عنه، ثم عن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، وعن جماعة من آخرهم بعض مشايخ الشيخ الإمام الوالد رحمه الله ولست أسمِّيه.

النوع الثالث: انفلاق البحر وجَفافه، والمشي على الماء، وكل ذلك كثير، وقد اتفق مثله لشيخ الإسلام وسيد المتأخرين تقي الدين ابن دَقيق العيد.

الرابع: انقلاب الأعيان، كما ***حُكي*** أن الشيخ عيسى الهِتَّار اليَمني أرسل إليه

شخص مستهزئًا به إناءين ممتلئين خمرًا، فصبَّ أحدهما في الآخر وقال: بسم الله كُلوا، فأكلوا فإذا هو سَمن لم يُر مثل لونه وريحه. وقد أكثروا في ذكر نظير هذه الحكاية.

الخامس: انزواء الأرض لهم، بحيث حكوا أن بعض الأولياء كان في جامع طَرَسُوس فاشتاق إلى زيارة الحرَم، فأدخل رأسه في جُبَّته. ثم أخرجه وهو في الحَرَم. والقَدر المشترك من الحكايات في هذا النوع بالغٌ مَبلغ التواتر، ولا ينكره إلا مُباهت.

السادس: كلام الجمادات والحيوانات. ولا شك فيه، وفي كثرته. ومنه ما حُكي أن إبراهيم بن أدهم جلس في طريق بيت المقدس تحت شجرة رمان، فقالت له: يا أبا إسحاق أكرمني بأن تأكل مني شيئًا، قالت ذلك ثلاثا، وكانت شجرةً قصيرة، ورمانها حامضًا، فأكل منها رمانة، فطالت وحلا رمانها وحملت في العام مرتين، وسميت رمانة العابدين.

وقال الشِّبلي: عقدت أني لا آكل إلا من حَلال، فكنت أدور في البَراري فرأيت شجرة تين، فمددت يدي لآكل منها فنادتني الشجرة: احفظ عليك عَقدك ولا تأكل مني، فإني ليهودي، فكففت يدي.

السابع: إبراء العليل، كما رُوي عن السَّريِّ في حكاية الرجل الذي لقيه ببعض الجبال يُبرىء الزَّمنى والعُميان والمرضى.

وكما حُكي عن الشيخ عبد القادر أنه قال لصبي مُقعد مَفلوج أعمى مَجذوم: قم بإذن الله، فقام لا عاهةَ به.

الثامن: طاعة الحيوانات لهم، كما في حكاية الأسد مع أبي سعيد بن أبي الخير الميهَني، وقبله إبراهيم الخَواص. بل وطاعة الجمادات، كما في حكاية سلطان العلماء شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام وقوله في واقعة الفرنج: يا ريحُ خذيهم، فأخذتهم.

التاسع: طيُّ الزمان.

العاشر: نَشر الزمان. وفي تقرير هذين القسمين عُسر على الأفهام، وتسليمه لأهله أولى بذي الإيمان. والحكايات فيهما كثيرة.

الحادي عشر: استجابة الدعاء. وهو كثير جدًا، وشاهدناه من جماعة.

الثاني عشر: إمساك اللسان عن الكلام وانطلاقه.

الثالث عشر: جَذب بعض القلوب في مجلس كانت فيه في غاية النَّفرة.

الرابع عشر: الإخبار ببعض المغيبات والكشف[1]. وهو درجات تخرج عن حد الحصر.

الخامس عشر: الصبر على عدم الطعام والشراب المدة الطويلة.

السادس عشر: مقام التَّصريف[2]. فقد *حُكي* عن جماعة منه الشيء الكثير. وذُكر أن بعضهم كان يبيع المطر، وكان من المتأخرين الشيخ أبو العباس الشاطر يبيع الأشغال بالدراهم. وكثرت *الحكايات* عنه في هذا الباب، بحيث لم يبق للذهن مَساغ في إنكارها.

السابع عشر: القُدرة على تناول الكثير من الغذاء (!!)

الثامن عشر: الحفظ عن أكل الحرام، كما *حُكي* عن الحارث المُحاسِبي أنه كان يرتفع إلى أنفه زُفُورة من المأكل الحرام فلا يأكله. وقيل: كان يتحرك له عِرق. *وحُكي* نظيره عن الشيخ أبي العباس المُرسِي. وقيل: إن بعض الناس امتحنه وأحضر له مَأكلاً حرامًا، فبمجرد ما وضعه بين يديه قال: إن كان المُحاسِبي يتحرك منه عِرق فأنا يتحرك مني عند حضور الحرام سبعون عِرقًا، ونهض من ساعته وانصرف.

التاسع عشر: رؤية المكان البعيد من وراء الحُجُب، كما *قيل* إن الشيخ أبا إسحاق الشِّيرازي كان يشاهد الكعبة وهو ببغداد.

العشرون: الهيبة التي لبعضهم، بحيث مات مَن شاهده بمجرد رؤيته(!!!)، كصاحب أبي يزيد البِسطامي الذي قدمنا حكايته، أو بحيث أُفحم بين يديه أو اعترف بما لعله كتمه عنه، أو غير ذلك. وهو كثير.

الحادي والعشرون: كفاية الله إياهم شرَّ مَن يريد بهم سوءًا وانقلابه خيرًا؛ كما اتفق للشافعي رضي الله عنه مع هارون الرشيد رحمه الله.

الثاني والعشرون: التطوُّر بأطوار مختلفة. وهذا الذي تسميه الصوفية بعالَم المُثُل، ويثبتون عالَمًا متوسطًا بين عالَمي الأجسام والأرواح، سموه عالم المِثال، وقالوا: هو ألطف من عالم الأجسام وأكثف من عالم الأرواح، وبنوا عليه تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المِثال، واستأنسوا له بقوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا

---

(١) وهذا من ضلال الصوفية وزعمهم الباطل، والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، وإلا ما يطلعه الله سبحانه لبعض من ارتضى من رسول.

(٢) وهذا أيضًا من ضلال غلاة المتصوفة؛ فإنه لا يجوز في ملك الله سبحانه وتعالى إلا ما به أذن، ولم يجعل لمخلوق كائنًا من كان التصرف في شيء من ملكه إلا بأمره وتحت مشيئته.

سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] ومنه ما حُكي عن قَضيب البان الموصلي، وكان من الأبدال، أنه اتهمه بعض من لم يره يصلي بترك الصلاة وشدد النكير عليه، فتمثل له على الفور في صور مختلفة، وقال: في أيِّ هذه الصور رأيتني ما أصلي[1]؟ ولهم من هذا النوع حكايات كثيرة.

ومما اتفق لبعض المتأخرين أنه وجد فقيرًا شيخًا كبيرًا يتوضأ بالقاهرة في المدرسة الشرفية من غير ترتيب، فقال له: يا شيخ تتوضأ بلا ترتيب؟ فقال له: ما توضأت إلا مرتبًا، ولكن أنت ما تبصر! لو أبصرت لأبصرت هكذا، وأخذ بيده وأراه الكعبة، ثم مرّ به إلى مكة، فوجد نفسه في مكة، وأقام بها سنين، في حكاية يطول شرحها[1].

الثالث والعشرون: إطلاع الله إياهم على ذخائر الأرض، كما قدمناه في حكاية أبي تُراب، لمّا ضرب برجله الأرض فإذا عينُ ماءٍ زُلال.

وعن بعضهم أنه عطِش أيضًا في طريق الحج فلم يجد ماء عند أحد، فوجد فقيرًا قد ركز عُكّازه في موضع والماء ينبَع من تحت عُكّازه، فملأ قِربته ودلّ الحجيج عليه، فجاءوا فملأوا أوانيهم من ذلك الماء.

الرابع والعشرون: ما سُهِّل لكثير من العلماء من التصانيف في الزمن اليسير، بحيث وُزِّع زمان تصنيفهم على زمان اشتغالهم بالعلم إلى أن ماتوا فوُجد لا يفي بِهِ نَسخًا، فضلاً عن التصنيف. وهذا قِسم من نَشر الزمان الذي قدمناه، فقد اتفق النَّقَلة على أن عمر الشافعي رحمه الله لا يفي بُعشر ما أبرزه من التصانيف، مع ما يثبت عنه من تلاوة القرآن كل يوم خَتمة بالتدبر، وفي رمضان كل يوم خَتمتين كذلك، واشتغاله بالدرس والفتاوَى والذِكر والفكر، والأمراض التي كانت تعتوره، بحيث لم يخلُ رضي الله عنه من علّة أو عِلتين أو أكثر، وربما اجتمع فيه ثلاثون مرضًا[2].

وكذلك إمام الحرمين أبو المعالي الجُوَيني رحمه الله حُسِب عمرُه وما صنفه، مع ما كان يلقيه على الطلبة ويذكر به في مجالس التذكير فوُجد لا يفي به.

وقرأ بعضهم ثماني ختمات في اليوم الواحد. وأمثال هذا كثير.

---

(١) وأنا يشتد عجبي من ابن السبكي كيف يذكر أمثال هذه التُّرهات، ولعل عذره أنها حكايات لا أكثر، ولذا يقول معقبًا عليها: "ولهم من هذا النوع حكايات"، وهكذا.

(٢) هذا عجب!!

وهذا الإمام الرباني الشيخ محيي الدين النَّوَوِي رحمه الله وُزِّع عمره على تصانيفه فوُجد أنه لو كان ينسخها فقط لما كفاها ذلك العمر؛ فضلاً عن كونه يصنفها، فضلاً عما كان يضمه إليها من أنواع العبادات وغيرها.

وهذا الشيخ الإمام الوالد رحمه الله إذا حُسب ما كتبه من التصانيف، مع ما كان يواظبه من العبادات، ويمليه من الفوائد، ويذكره في الدروس من العلوم، ويكتبه على الفَتاوى، ويتلوه من القرآن، ويشتغل به من المحاكمات عُرف أن عمره قطعًا لا يَفي بثلث ذلك، فسبحان مَن يبارك لهم ويَطوي لهم وينشُر.

الخامس والعشرون: عدم تأثير السمومات وأنواع المتلفات فيهم، كما اتفق ذلك ***للشيخ*** الذي قال له ***بعض*** الملوك: إمّا أن تُظهر لي آية، وإلا قتلتُ الفقراء، وكان بقربه بَعر جِمال، فقال: انظر، فإذا هي ذهب، وعنده كوز ليس فيه ماء فأخذه ورمى به في الهواء فأخذه ورده ممتلئًا ماء وهو منكَّس لم يخرج منه قطرة. فقال الملك: هذا سِحر، وأوقد نارًا عظيمة ثم أمرهم بالسَّماع، فلما دار فيهم الوَجد[1] دخل الشيخ والفقراء في النار ثم خرج، فخطف ابنًا صغيرًا للملك فدخل به وغاب ساعة بحيث كاد الملك يحترق على ولده ثم خرج به وفي إحدى يدي الصبي تفاحة، وفي الأخرى رمانة. فقال له أبوه: أين كنت؟ قال: في بستان. فقال جلساء الملك: هذا صنعة، لا حقيقة له. فقال له الملك: إن شربت هذا القدح من السمّ صدَّقتك، فشربه وتمزقت ثيابه عليه، ثم ألقوا عليه غيرها فتمزقت، ثم هكذا مرارًا إلى أن ثبتت عليه الثياب، وانقطع عنه عرق كان أصابه، ولم يؤثر فيه السمّ ضررًا.

وأظن أنواع كراماتهم تربو على المائة، وفيما أوردته دلالة على ما أهملته، ومَقنع وبلاغ لمن زالت عنه غفلته. وما من نوع من هذه الأنواع إلا وقد كثرت فيه ***الأقاصيص*** والروايات، وشاعت فيه الأخبار ***والحكايات***، وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولا بعد بيان الهدى إلا المحال، وليس للموفَّق غير التسليم، وسؤال ربه أن يلحقه بهؤلاء الصالحين، فإنهم على صراط مستقيم. ولو حاولنا حصر ما جراياتهم لضيقنا الأنفاس وضيعنا القِرطاس» اهـ.

قلت: وقد ذكر السبكي - رحمه الله - الغث والسمين، وهو في هذا كله يقول:

---

(١) السماع والوجد والرقص (والرفس) من ضلالات الصوفية، ما دلهم عليها إلا كبير الأبالسة، وزين لهم ما كانوا يعملون، فاللهم غَفرًا .

حكي، روي، قيل، ذكروا، حكوا، يحكى، عن بعضهم، أقاصيص،.... إلى آخر هذه الألفاظ التي هي صريحة في تمريض الخبر، ولا يُورِدُ مُمرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ!

وهذا من ابن السبكي يدل صريحًا على ما قدمت به من أن الأمر لا يعدو - في معظمه - أقاصيص وأساطير تروى، وأن الطبيعة البشرية مجبولة على سماع الغرائب وما لم تجر العادة به.

فاحذر أخي اللبيب من أن تروي ما لا تعرف أصله، فتقع في المسلك الرديء، والمذهب المذموم، واجعل ما نَبَّهتُكَ به منك على ذُكرٍ، وحاذر مِن:

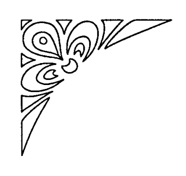
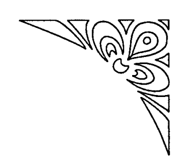
«رُوِيَ، وحُكِيَ، وذُكِرَ، وقِيلَ»، وأشباهها؛ فإنها القاصمة، والزم - إن جهلت - السُّكوت، وإلا فاعلم إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت.

ثم ليعلم - بعد هذا - أنه ليس كل منقبة لرجل تكون كرامة، فبينهما عموم وخصوص، فالكرامة أخص من المنقبة، والمنقبة - ومثلها الفضيلة - أعم وأشمل، يوضحه أنه لو شُهِدَ لصحابيٍّ ما بالجنة - وقد كان - فهذا ليس من كراماته ولا هو من خرق العادة له في شيء، إلا أنه من مناقبه وفضائله، فليتنبه إلى هذا، فقد خلط قوم بين الأمرين، وبينهما بون كما رأيت.

اللهم يسر ولا تعسر، وأنعمت فزد، وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم إلى يوم الدين.

وكتبه
أبو عبد الله الداريُّ
(محمد زكي عبد الدايم)

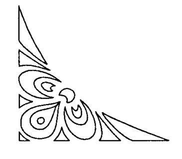
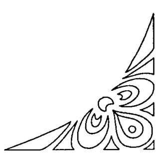


القسم الأول

الصحيح المسند من كرامات الصحابة

رضوان الله عليهم



(١)
كرامات أبي بكر الصديق رضي الله عنه

(١) في «الموطأ» كتاب الأقضية: باب ما لا يجوز من النّحل:

تنبؤه رضي الله عنه بنوع المولود في بطن أمه.

«وحدثني مالك عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: إن أبا بكر الصديق كان نحلها جَادَّ عشرين وسقًا من ماله بالغابة، فلما حضرته الوفاة قال: والله، يا بُنَيَّةُ ما من الناس أحد أحب إلي غنىً بعدي منك، ولا أعز عليَّ فقرًا بعدي منك. وإني كنت نحلتُكِ جادّ عشرين وسقًا، فلو كنتِ جددته واحتزتيه كان لكِ، وإنما هو اليوم مال وارث، وإنما هما أخواك وأختاك، فاقتسموه على كتاب الله.

قالت عائشة: فقلت: يا أبتِ، والله لو كان كذا وكذا لتركته، إنما أسماء، فمن الأخرى؟

فقال أبو بكر: ذو بطنِ بنتِ خارجة. أُراها جاريةً» فكان ذلك.

قال هبة الله اللالكائي (كرامات أولياء الله تعالى ص١١٧):

«هذه كانت زوجة أبي بكر، وهي حبيبة بنت خارجة بن زيد من بني زهير، من بني الحارث بن الخزرج. وكانت حاملاً حين توفي أبو بكر رضي الله عنه، فولدت بعده أم كلثوم، فتزوجها طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم، فصدق الله ظَنَّ أبي بكر الصديق رضي الله عنه بما قاله، وجعل ذلك كرامةً له فيما أخبر به قبل ولادتها وأنها أنثى وليست بذكرٍ».

وقال ابن السبكي[١]:

قلت: فيه كرامتان لأبي بكر.

إحداهما: إخباره بأنه يموت في ذلك المرض، حيث قال: «وإنما هو اليومَ مالُ وارث».

والثانية: إخباره بمولود يُولد له، وهو جارية.

والسر في إظهار ذلك، استطابة قلب عائشة رضي الله عنها في استرجاع ما وهبه لها ولم تقبضه، وإعلامها بمقدار ما يخصها؛ لتكون على ثقة منه، فأخبرها بأنه مالُ

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٢/٣٢٢).

وارث، وأن معها أخوين وأختين لهذا؛ ويدل على أنه قصد استطابة قلبها، ما مَهّده أولاً من أنه لا أحدَ أحبُّ إليه غنى بعده منها، وقوله: «إنما هما أخواك وأختاك». أي ليس ثَمَّ غريب، ولا ذو قرابة نائية؛ وفي هذا من الترفُّق ما ليس يخفى؛ فرضي الله عنه وأرضاه.

(٢) قال الإمام البخاري رحمه الله:

تكثير الطعام لضيفه رضي الله عنه.

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا معتمرٌ عن أبيه، حدثنا أبو عثمان أنه حدثه عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما؛ «أن أصحاب الصفة كانوا أُناسًا فقراء، وأن النبي ﷺ قال مرة: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس» (أو كما قال)، وأن أبا بكر جاء بثلاثةٍ، وانطلق النبي ﷺ بعشرةٍ، وأبو بكر بثلاثةٍ، قال: فهو أنا وأبي وأمي (ولا أدري هل قال: امرأتي وخادمي بين بيتنا وبين بيت أبي بكر)، وأن أبا بكر تعشَّى عند النبي ﷺ، ثم لبث حتى صلى العشاء، ثم رجع فلبث حتى تعشَّى رسول الله ﷺ، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله. قالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك؟ (أو ضيفك؟) قال: أو عَشَّيتِهِم؟ قالت: أبَوا حتى تجيءَ، قد عرضوا عليهم فغلبوهم».

قال: فذهبت فاختبأت، فقال: يا غُنثَرُ - فَجَدَّعَ وسَبَّ - وقال: كُلُوا. وقال: لا أطعمه أبدًا، قال: وايمُ الله ما كنا نأخذ من اللقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، حتى شَبِعُوا وصارت أكثر مما كانت قبلُ، فنظر أبو بكر، فإذا شيءٌ أو أكثر، فقال لامرأته: يا أخت بني فراسٍ. قالت: لا وَقُرَّةِ عيني، لَهِيَ الآن أكثر مما قبل بثلاث مِرارٍ. فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان الشيطان - يعني يمينه - ثم أكل منها لُقمةً، ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده.

وكان بيننا وبين قوم عهدٌ، فمضى الأجل، ففرقنا اثنا عشر رجلاً، مع كُلِّ رجل منهم أناسٌ الله أعلم كم مع كل رجلٍ، غير أنه بعث معهم، قال: أكلوا منها أجمعون. أو كما قال»[1].

---

(١) كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام، حديث (٣٥٨١)، وأطرافه في (٦٠٢، ٦١٤٠، ٦١٤١).
قلت: وقوله: "يا غنثر" معناه: الثقيل الوخيم، وقيل: الجاهل، وقيل: السفيه واللئيم.
وأما قول أبي بكر لامرأته: "يا أخت بني فراس"، فكأنه - والله أعلم - ينكر عليها من أين أتت الزيادة، ويعضده قوله في الرواية الأخرى: ما هذا؟ قال الحافظ: "وإنما حلفت أم رومان بذلك لما وقع عندها من السرور والكرامة التي حصلت لهم ببركة الصديق رضي الله عنه".

قال ابن السبكي[1]:

فنقول: السر فيه، والعلم عند الله، إن كان أبو بكر قصد تكثير الطعام احتياجه إلى إشباع الأضياف، الذين أمره النبيُّ ﷺ بهم، وإن لم يكن قصد ذلك بل كثره الله ببركته، فهي كرامة أظهرها الله على يديه من غير قصد منه، فلا يُبحث عنها.

* * *

(١) الطبقات الكبرى (مرجع سابق) (٢/٣٢٣).

(٢)
كرامات عمر رضي الله عنه

(١) قال البخاري رحمه الله: حدثنا يحيى بن سليمان قال: حدثني ابن وهب، قال: حدثني عمر أن سالمًا حدثه عن عبد الله قال: ما سمعت عمر لشيء قط يقول: إني لأظنه كذا، إلا كان كما يظن؛ بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل، فقال عمر: لقد أخطأ ظني[1] أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، عليَّ الرجل.

صحة تنبؤه رضي الله عنه بكاهن الجاهلية، وشدة فراسته.

فدعي له، فقال له ذلك، فقال: ما رأيت كاليوم استُقبِلَ به رجل مسلم[2]. قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني. قال: كنت كاهنهم في الجاهلية. قال: فما أعجبُ ما جاءتك به جِنِّيَّتُكَ؟

قال: بينما أنا يومًا في السوق، جاءتني أعرِفُ فيها الفَزَعُ، فقالت: ألم تر الجِنَّ وإبلاسَها، ويأسَها من بعد إنكاسِها، وَلُحُوقَها بالقِلَاصِ وأحلاسِها.

قال عمر: بينما أنا نائم عند آلهتهم، إذ جاء رجل بعجلٍ فذبحه، فصرخ به صارخٌ لم أسمع صارخًا قطُّ أشد صوتًا منه يقول: يا جَلِيحُ، أمرٌ نَجِيح، رجلٌ فصيح يقول: لا إله إلا أنت، فوثب القوم.

قلت: لا أبرحُ حتى أعلم ما وراء هذا. ثم نادى: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح يقول: لا إله إلا الله. فقمتُ، فما نَشِبنا أن قيل: هذا نبيٌّ.

(٢) قال اللالكائي (رحمه الله!) (شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة - برقم ٢٥٣٧):

سيطرة عمر الأقمار الصناعية!!

- أنا الحسن بن عثمان قال: أنا أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: نا عبد الله بن أحمد، قال: نا أبو عمرو الحارث بن مسكينٍ المصري، قال: أنا ابن وهب، عن يحيى ابن أيوب، عن ابن عجلان، عن نافع، عن عبد الله بن عمر:

---

(١) كأنه يريد أن يقول: ما عدت أثق بفراستي ولا أعرف شيئًا إن لم يكن هذا الرجل على دينه في الجاهلية ولم يُسلِم، أو على أقل تقدير كان كاهنًا لهم في الجاهلية؛ وهذا لما رآه على طلعته ومحياه مما علق به من أثر مهنته السابقة.

(٢) يريد أن يقول - أي هذا الرجل المشار إليه -: هذا يَومٌ طَلَعَ بشرٌ أَوَ هكذا يُستَقبَلُ رجلٌ مسلم في صباح يومه؟ وهذا من أسلوب الحكيم؛ إذ إنه عدل عن جواب سؤال عمر رضي الله عنه!

«أن عمر بن الخطاب بعث جيشًا أمر عليهم رجلاً يدعى سارية، قال: فبينا عمر يخطب الناس يومًا، قال: فجعل يصيحُ وهو على المنبر: يا ساريَ الجبلَ، يا ساريَ الجبلَ.

قال: فقدم رسول الجيش فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين!! لقينا عدونا فهزمناهم، فإذا بصائح يصيح: يا ساري الجبل، يا ساري الجبل. فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله!

فقيل لعمر بن الخطاب: إنك كنت تصيح بذلك.

قال ابن عجلان: وحدثني إياس بن معاوية بن قُرَّة بذلك.

قلت: وقال ابن كثير (البداية ٧/١٣٥)، والحافظ في (الإصابة ٢/٣) في إسناد ابن عجلان عن نافع في قصة سارية بن زنيم هذا: إسناد حسن.

وقال ابن كثير بعد ذكره جملة من طرقه: فهذه طرق يشد بعضها بعضًا.

وقال الشيخ الألباني - حفظه الله! - في حاشية المشكاة (٣/٢٠١):

«ورواه ابن عساكر وغيره بإسناد حسن نحوه».

* * *

(٣)
كرامات عثمان بن عفان رضي الله عنه

قال ابن شَبَّه - رحمه الله - (تاريخ المدينة ص ١١١١):

حدثنا علي بن محمد، عن عبد الله بن مصعب (ضعفه ابن معين)، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال:

انتقام الله تعالى له، رضي الله عنه

خرج عثمان رضي الله عنه من داره يوم جمعةٍ، عليه حُلَّةٌ حِبَرَةٌ ومعه ناس من مواليه، قد صَفَّرَ لِحيتهُ، فدخل المسجد، فجذب الناس ثيابه يمينًا وشمالاً، وناداه بعضهم يا نَعثَلُ (قيل: ذكر الضبع، وقيل: هو دِهقَانُ أصبهانَ، وكان جميلاً جيد اللحية، فشبهوا عثمان به)، وكان حليمًا حَيِيًّا، فلم يكلمهم حتى صعد المنبر، فشتموه، فسكت، حتى سكتوا، ثم قال: أيها الناس اسمعوا وأطيعوا؛ فإن السامع المطيع لا حُجة عليه، والسامع العاصي لا حجة له. فناداه بعضهم: أنت السامعُ العاصي.

وقام جَهجَاهُ بن سعد (كذا، والصواب: سعيد) الغفاريُّ - وكان ممن بايع تحت الشجرة - فقال: هَلُمَّ إلى ما ندعوك إليه. قال: وما هو ؟!

قال: نحمِلُكَ على شارفٍ (ناقة مسنة) جَربَاءَ، ونُلحقك بجبل الدخان، لست هناك لا أُمَّ لك.

وتناول جَهجَاهُ عصًا كانت في يد عثمان رضي الله عنه، وهي عصا رسول الله ﷺ (كان يتخصَّرُ بها)، فكسرها على ركبته، ودخل عثمان دارهُ، وصلى بالناس يوم الجمعة سهل بن حُنيف، ووقعت في رِجل جهجَاهِ الأَكَلَةُ.

(صحيح بشواهده)

عند ابن شبه (١١١١-١١١٢)، والطبري في التاريخ (٤/٣٦٦-٣٦٧)، واللالكائي في «كرامات الأولياء» (٧٠).

وجهجاه: هو ابن سعيد - وقيل: ابن قيس، وقيل: ابن مسعود - الأنصاري، شهد بيعة الرضوان بالحديبية، وكان أجيرًا لعمر بن الخطاب، قال ابن السكن: مات بعد عثمان بأقل من سنة. (الإصابة ١/٢٥٣).

* * *

(٤)
كرامات علي بن أبي طالب رضي الله عنه

قال ابن أبي الدنيا - رحمه الله - (مجابو الدعوة (٦٥)):

إجابة دعوته رضي الله عنه في الحال.

حدثني سُرَيجُ بن النُّعمان، قال: ثنا هُشَيمٌ، عن إسماعيل بن سالم، عن عمارٍ الحضرميِّ، عن زَاذَانَ أبي عُمَـرَ، أن رجلاً حدثَهُ عليٌّ بحديث فقال: ما أُرَاكَ إلا كذبتني! قال: لَمْ أفعل. قال: أدعو الله عليك إن كنت كذبتني؟

قال: ادع. فدعا، فما برح حتى عمي.

(يحتمل التحسين)

عمار الحضرمي ذكره ابن أبي حاتم ولم يحك فيه جرحًا ولا تعديلاً. والقصة أخرجها ابن أبي الدنيا برقم (٦٦)، ومن طريقه اللالكائي في «كرامات الأولياء» (برقم ٧٣).

وأخرجها عبد الله بن الإمام أحمد في «الزهد» (ص ١٦٤)، حدثني أبو مَعمَرٍ، حدثنا هُشَيمٌ، أنبأنا إسماعيلُ بن سالمٍ... به، إلا أنه قال فيه: عن زاذان أبي عمر؛ أن ***رجلًا حدثه*** أن عليًا عليه السلام سأل رجلاً... القصة.

فإن كان هذا محفوظًا، فليس ذا من شرطي، ويكون الأثر منقطعًا.

* * *

(٥)
كرامات سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

(١) قال البخاري - رحمه الله - (٧٥٥):

حدثنا موسى، قال: حدثنا أبو عوانة، قال: حدثنا عبد الملك بن عُميرٍ، عن جابر ابن سَمُرَةَ قال: شكا أهلُ الكوفة سعدًا إلى عمر رضي الله عنه فعزله واستعمل عليهم عمارًا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يُحسن يُصلي. فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق!! إن هؤلاء يزعمون أنك لا تُحسن تُصلي!

قال أبو إسحاق: أما أنا - والله - فإني كنت أُصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها؛ أصلي صلاة العشاء فأَركُدُ في الأوليين وأَخِفُّ في الأخريين.

استجابة دعائه رضي الله عنه.

قال: ذاك الظَّنُّ بك يا أبا إسحاق. فأرسل معه رجلاً - أو رجالاً - إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجدًا إلا سأل عنه وَيُثْنُونَ معروفًا، حتى دخل مسجدًا لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له أُسامة بن قتادة، يُكنَى أبا سعدة، قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدلُ في القضية.

قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رِياءً وسُمعةً، فأطل عُمُرَهُ، وأطل فَقرَهُ، وعرِّضه بالفتن. وكان بعدُ إذا سُئل يقول: شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ أصابتني دعوةُ سعدٍ.

قال عبد الملك: فلقد رأيته بعد قد سقط حاجِبَاهُ على عينيه من الكِبر، وإنه ليتعرضُ للجواري في الطريق يَغمِزُهُنَّ.

(٢) قال البخاري - رحمه الله - (٤٠٥٤):

رؤيته الملائكة يوم أُحُد.

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال:

رأيت رسول الله ﷺ يوم أُحُدٍ ومعه رجلان يُقاتلان عنه، عليهما ثيابٌ بِيضٌ كأَشَدِّ القِتال، ما رأيتهما قبلُ ولا بعد.

(٣) قال الطبراني - رحمه الله - (الكبير ١/١٤١ (٣١١)):

حدثنا محمود بن محمد الواسطيُّ، ثنا زكريا بن يحيى زَحمَوَيه، حدثنا زياد بن عبد الله البَكَّائيُّ، عن عبد الملك بن عمير، عن قبيصة بن جابرِ الأسديِّ، قال: قال ابن عمٍّ لنا يوم القادسية (الطويل):

أَلَمْ تَــرَ أَنَّ اللَّهَ أَنــزَلَ نَصــرَهُ وَسَعدٌ بِبَابِ القَادِسِيَّةِ مُعصَمُ
فَأُبنَا وَقَـد آمَـت نِسَـاءٌ كَثِيرَةٌ وَنِسـوةُ سَعـدٍ لَيسَ فِيهِـنَّ أَيِّمُ

فلما بلغ سعدًا رضي الله عنه قوله، قال: اللهم اقطع عني لسانَه ويده، فجاءت نُشَّابَةٌ فأصابت فاهُ فخَرِسَ، ثم قطعت يده في القتال، فقال سعد: احملوني على باب، فخُرج به محمولاً، ثم كشف عن ظهره وبه قروحٌ في ظهرِهِ، فأخبر الناس بعُذره، فعذرُوه.

وكان سعدٌ لا يجبُنُ، وقال: إنما فعلت هذا لما بلغني من قولكم.

* * *

(٦)

كرامات سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه

قال مسلم - رحمه الله - (١٦١٠):

حدثنا أبو الربيع العَتَكِيُّ، حدثنا حماد بن زيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه؛ أن أَروى بنت أُوَيس ادعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئًا من أرضها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم، فقال سعيدٌ:

أنا كنتُ آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعتُ من رسول الله ﷺ؟ قال: وما سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طُوِّقَهُ إلى سبع أرَضين». فقال له مروان: لا أسألك بينةً بعد هذا.

إجابة دعوته رضي الله عنه.

فقال: اللهم إن كانت كاذبةً فعمِّ بصرها، واقتُلها في أرضها.

قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حُفرةٍ فماتت.

* * *

(٧)
كرامات العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال البخاري - رحمه الله - (٣٧١٠):

حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثني أبي عبد الله ابنُ المُثَنَّى، عن ثُمَامَةَ بن عبد الله بن أنسٍ رضي الله عنه؛ أن عمر بن الخطاب كان إذا قَحَطُوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتَسقينا، وإنا نتوسل إليك بِعَمِّ نبينا فاسقِنا. قال: فيُسقَونَ.

نزول المطر باستسقائه رضي الله عنه.

* * *

(٨)
كرامات عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

قال البخاري - رحمه الله - (٣٥٧٩):

حدثنا محمد بن المُثَنَّى، حدثنا أبو أحمد الزُّبيريُّ، حدثنا إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال:

سماعه تسبيح الطعام، رضي الله عنه.

كنا نعدُّ الآيات بركةً، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، فقل الماء، فقال: «اطلبوا فَضلَةً من ماءٍ»، فجاءوا بإناءٍ فيه ماءٌ قليلٌ، فأدخل يده في الإناء ثم قال: «حَيَّ على الطهور المبارك، والبركة من الله»، فلقد رأيت الماء ينبعُ من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل.

* * *

(٩)

كرامات أنس بن مالك رضي الله عنه

قال ابن سعد في «الطبقات» (٢١/٧):

أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن زُرَارَةَ، قال: أخبرنا جعفر بن سليمان الضُّبَعِيُّ، قال: حدثنا ثابت البُنَانِيُّ، قال:

نزول المطر باستسقائه رضي الله عنه!!

شكا قَيِّمٌ لأنس بن مالك في أرضه العطش، قال: فصلى أنسٌ ودعا، فثارت سحابة حتى غُشِيت أرضُهُ، حتى ملأت صِهرِيجَهُ، فأرسل غُلامه، فقال: انظر أين بلغت هذه. فإذا هي لم تَعدُ أرضه.

(حسن بطرقه)

عند ابن أبي الدنيا (٧٩)، والبيهقي في «الدلائل» (١٤٨/٦)، واللالكائي (١٠٤)، (١٠٥).

وله شاهد عند ابن سعد (٢١/٧).

* * *

(١٠)
كرامات أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما

قال البخاري - رحمه الله - (٣٨٠٥):

بابُ منقبة أُسيد بن حُضيرٍ وعباد بن بشرٍ رضي الله عنهما.

حدثنا عليُّ بن مسلمٍ، حدثنا حبان بن هلالٍ، حدثنا همامٌ، أخبرنا قتادة عن أنس رضي الله عنه:

إضاءة العصا لهما في ليلة مظلمة.

أن رجلين خرجا من عند النبي ﷺ في ليلةٍ مُظلمةٍ، وإذا نُورٌ بين أيديهما حتى تفرقا، فتفرق النور معهما.

وقال معمر عن ثابت عن أنس: إن أُسيد بن حُضيرٍ ورجلاً من الأنصار...

وقال حمادٌ: أخبرنا ثابت عن أنس: كان أُسيد بن حُضيرٍ وعباد بن بشرٍ عند النبي ﷺ...».

قال الحافظ - رحمه الله -:

قوله: «إن رجلين» ظهر من رواية معمر أن أسيد بن حضير أحدهما، ومن رواية حماد أن الثاني عباد بن بشر، ولذلك جزم به المؤلف في الترجمة، وأشار إلى حديثيهما:

فأما رواية معمر، فوصلها عبد الرزاق في مصنفه، ومن طريقه الإسماعيلي بلفظ: «أن أسيد بن حضير ورجلاً من الأنصار تحدثا عند رسول الله ﷺ حتى ذهب من الليل ساعة، في ليلة شديدة الظلمة، ثم خرج[1] وبيد كل منهما عصية، فأضاءت عصا أحدهما حتى مشيا في ضوئها، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت عصا الآخر، فمشى كل منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله».

وأما رواية حماد بن سلمة، فوصلها أحمد والحاكم في «المستدرك»، بلفظ: «أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر كانا عند النبي ﷺ، في ليلة ظلماء حندس، فلما خرجا أضاءت عصا أحدهما فمشيا في ضوئها، فلما افترقت بهما الطريق أضاءت عصا الآخر».

* * *

---

(١) هكذا في "الفتح"، ولعل الصواب: "خرجا".

(١١)
كرامات سفينة مولى رسول الله ﷺ

قال الحاكم (٣/٦٠٦):

حدثنا أبو العباس، ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أنبأ ابن وهبٍ، أخبرني أسامة بن زيد؛ أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان حدثَهُ، عن محمد بن المُنكَدِرِ؛ أن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال:

تسخير الأسد له رضي الله عنه!

ركبتُ البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها، فركبت لوحًا من ألواحها فطرحني اللوحُ في أَجَمَةٍ فيها الأسد، فأقبل إليَّ يُريدني، فقلت: يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله ﷺ، فطأطأ رأسه وأقبل إليَّ فدفعني بمنكبِهِ حتى أخرجني من الأَجَمَة ووضعني على الطريق وَهَمهَمَ، وظننت أنه يُوَدِّعُني، فكان ذلك آخِر عهدي به.

وهو عند: أبي نعيم (١/٣٦٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/٤٥-٤٦)، وغيرهما.

* * *

(١٢)
كرامات عبد الله بن عمر وبني الزبير بن العوام رضي الله عنهم

قال أبو نعيم - رحمه الله - (الحلية ١/٣٠٩):

حدثنا سليمان بن أحمد، ثنا أحمد بن زيد بن الحريش، ثنا أبو حاتم السِّجستَانِيُّ، ثنا الأصمعيُّ، ثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد، عن أبيه قال:

اجتمع في الحِجرِ مُصعبٌ وعُروةُ وعبد الله بنو الزُّبير، وعبد الله بن عُمرَ فقالوا: تَمَنَّوا، فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة.

وقال عُروة: أمَّا أنا فأتمنى أن يُؤخذ عَنِّي العِلمُ.

وقال مصعب: أما أنا فأتمنى إمرَةَ العراق والجمع بين عائشة بنت طلحة وسُكينة بنت الحُسين.

وقال عبد الله بن عمر: أما أنا فأتمنى المغفرة.

قال: فنالُوا كلهم ما تَمَنَّوا، ولعل ابن عمر قد غفر لهُ.

تحقيق أمانيهم رضي الله عنهم.

(يحتمل التحسين)

* * *

(١٣)
كرامات عامر بن فهيرة رضي الله عنه

قال البخاري - رحمه الله - (٤٠٩٣):

حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

استأذن النبيَّ ﷺ أبو بكر في الخروج حين اشتد عليه الأذى، فقال له: أَقِم. فقال: يا رسول الله، أتطمَعُ أن يُؤذنَ لكَ؟ فكان رسول الله ﷺ يقول: إني لأرجو ذلك.

قالت: فانتظره أبو بكر، فأتاه رسول الله ﷺ ذات يوم ظهرًا، فناداه فقال: اخرج من عندك. فقال أبو بكر: إنما هما ابنتاي، فقال: أشعرت أنه قد أُذِنَ لي في الخروج؟ فقال: يا رسول الله الصُحبةُ، فقال النبي ﷺ: الصُحبة.

قال: يا رسول الله عندي ناقتان قد كنت أعددتهما للخروج. فأعطى النبي ﷺ إحداهما - وهي الجَدعَاءُ - فركبا، فانطلقا حتى أتيا الغَارَ - وهو بثَورٍ - فتواريا فيه، فكان عامر بن فُهيرة غُلامًا لعبد الله بن الطُّفَيلِ بن سَخبَرَةَ أخو عائشة لأُمِّها، وكانت لأبي بكرٍ منحةٌ، فكان يروح بها ويغدو عليهم، ويُصبح فَيُدَلِّجُ إليهما، ثم يسرحُ فلا يفطن به أحدٌ من الرِّعاءِ، فلما خرج[1] خرج معهما يَعقُبَانِهِ حتى قدما المدينة، فقتل عامر بن فهيرة يوم بئر معونة.

وعن أبي أسامة قال: قال هشام بن عُروة: فأخبرني أبي قال: لما قُتل الذين ببئر مَعونة، وأُسر عمرو بن أُمَيَّةَ الضَّمريُّ قال له عامر بن الطُّفَيلِ: من هذا؟ فأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فُهَيرَةَ. فقال: لقد رأيته بعد ما قُتل رُفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وُضع، فأتى النبي ﷺ خَبَرُهُم، فنعَاهُم، فقال:

رفعه إلى ما بين السماء والأرض بعد قتله ونزوله إلى الأرض!!

«إن أصحابكم قد أُصِيبوا، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا. فأخبرهم عنهم»، وأُصيب يومئذ عُروة بن أسماء بن الصلت، فسُمِّي عُروة به، ومنذر بن عمرو، سُمِّيَ به مُنذرًا».

(١) هكذا في البخاري، ولعله: "خرجا". وهو هكذا في كلام الحافظ على الصواب.

(١٤)

كرامات خبيب بن عدي وعاصم بن ثابت رضي الله عنهما

قال البخاري - رحمه الله - (٤٠٨٦):

حدثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، عن معمرٍ، عن الزُّهرِي، عن عمرو بن أبي سُفيان الثقفيّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

بعث النبي ﷺ سَريةً عينًا، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت - وهو جدُّ عاصم بن عمر ابن الخطاب - فانطلقوا، حتى إذا كان بين عُسفان ومكة ذُكروا لحَيٍّ من هُذيل يقال لهم بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رامٍ فاقتصوا آثارهم، حتى أتوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نوى تَمرٍ تَزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمرُ يثرب، فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم، فلما انتهى عاصمٌ وأصحابه لجئوا إلى فَدفَد[1]، وجاء القوم فأحاطوا بهم، فقالوا: لكم العهدُ والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً، فقال عاصمٌ: أما أنا فلا أنزلُ في ذمة كافرٍ، اللهم أخبر عنا نبيك. فقاتلوهم حتى قتلوا عاصمًا في سبعة نفرٍ بالنَّبل، وبقي خُبَيبٌ وزيدٌ ورجلٌ آخرُ، فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلُّوا أوتار قِسِيِّهِم فربطوهم بها، فقال الرجل الثالث الذي معهما: هذا أولُ الغدرِ، فأبى أن يصحبهم فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل، فقتلوه، وانطلقوا بخبيبٍ وزيدٍ حتى باعوهما بمكة، فاشترى خُبَيبًا بنو الحارث ابن عامر بن نوفل، وكان خُبَيبٌ هو قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيرًا حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحدَّ بها، فأعارته، قالت: فغفلت عن صَبِيٍّ لي، فدرج إليه حتى أتاه، فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعتُ فزعةً عرف ذاك مني، وفي يده الموسى، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذاك إن شاء الله. وكانت تقول: ما رأيت أسيرًا قطُّ خيرًا من خُبيب؛ لقد رأيته يأكل من قِطفِ عِنبٍ وما بمكة يومئذ ثمرةٌ، وإنه لموثقٌ في الحديد، وما كان إلا رزقٌ رزقه اللهُ،

أكل خبيب العنب في الأسر وما بمكة يومئذ ثمرة منه، وحماية الدبر (النحل) لجسد عاصم بعد قتله رضي الله عنهما.

(١) الفَدفَدُ هنا هو: الموضع الذي فيه غِلَظٌ وارتفاع.

فخرجوا به من الحرم ليقتلوه، فقال: دعوني أُصلّي ركعتين، ثم انصرف إليهم فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزعٌ من الموت لزدتُ، فكان أول من سنَّ الركعتين عند القتل هو، ثم قال: اللهم أحصهم عددًا، ثم قال:

مَا أن أُبَالِي حِينَ أُقتَلُ مُسلِمًا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ للهِ مَصرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِن يَشَأْ ... يُبَارِك عَلَى أوصَالِ شِلوٍ مُمَزَّعِ

ثم قام إليه عُقبة بن الحارث فقتله[1]، وبعثت قريشٌ إلى عاصم ليؤتوا بشيءٍ من جسده يعرفونه، وكان عاصمٌ قتل عظيمًا من عظمائهم يوم بدرٍ، فبعث الله عليه مثل الظُّلة من الدبر[2] فحَمَتهُ من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء.

* * *

(١) قال الحافظ - رحمه الله -: وذكر ابن إسحاق بإسناد صحيح عن عقبة بن الحارث قال: "ما أنا قتلت خبيبا لأني كنت أصغر من ذلك، ولكن أبا ميسرة العبدري أخذ الحربة فجعلها في يدي، ثم أخذ بيدي وبالحربة ثم طعن بها حتى قتله".

(٢) يعني: جماعة من النحل تشبه السحابة لعظمها.

(١٥)
كرامات عمران بن حصين رضي الله عنه

قال مسلم - رحمه الله - (١٢٢٦) (١٦٧):

وحدثني عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن حميد بن هلال، عن مطرف، قال: قال لي عمران بن حصين:

أُحدِّثُكَ حديثًا عسى الله أن ينفعك به، إن رسول الله ﷺ جمع بين حَجَّةٍ وعُمرَةٍ، ثم لم ينه عنه حتى مات، ولم ينزل فيه قُرآنٌ يُحَرِّمُهُ.

وقد كان يُسلَّمُ عليَّ حتى اكتويت، فتُرِكتُ، ثم تركت الكي فعاد.

سماعه تسليم الملائكة عليه رضي الله عنه.

* * *

(١٦)
كرامات عبد الله بن جحش الأسدي رضي الله عنه

قال أبو نعيم (الحلية ١/١٠٨-١٠٩):

حدثنا سليمان بن أحمد، ثنا طاهر بن عيسى المصريُّ، ثنا أصبغُ بن الفرج، ثنا ابن وهب، حدثني أبو صخرٍ، عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيطٍ، عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاصٍ، حدثني أبي:

تحقيق أمنيته على الوجه الذي تمنى رضي الله عنه!!

أن عبد الله بن جحشٍ قال له يوم أُحُدٍ: ألا تدعُو[1] الله ؟! فخلوا في ناحيةٍ، فدعا عبد الله بن جحشٍ، فقال: يارب إذا لقيتُ العدُوَّ غدًا، فلقِّني رجلاً شديدًا بأسُهُ، شديدًا حَرِدُهُ[2]، أُقاتِلُهُ فيك ويقاتِلُني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأُذُني، فإذا لَقِيتُكَ غدًا قلتَ: يا عبد الله! من جدع أنفكَ وأُذُنكَ؟ فأقول: فيك وفي رسُولِكَ، فتقول: صدقت.

قال سعدٌ: فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفهُ وأُذُنَهُ لمُعَلَّقَتَانِ في خَيطٍ.

(حسن)

* * *

---

(١) هكذا في الحلية، ولعل الصواب: ندعو (بالنون).

(٢) الحَرِدُ: الغيظ والغضب، يقال: حَرِدَ الرجل، فهو حَرِدٌ: إذا اغتاظ فتحرش بالذي غاظه وَهَمَّ به.

(١٧)
كرامات زيد بن خارجة الأنصاري رضي الله عنه

قال البيهقي في «الدلائل» (٦/٥٥-٥٧):

أخبرنا أبو صالح بن أبي طاهر العنبريُّ، أنبأنا جدِّي يحيى بن منصور القاضي، حدثنا أبو عليٍّ محمد بن عمرو كِشمرد، أنبأنا القعنبيُّ، حدثنا سُليمان بن بلالٍ، عن يحيى ابن سعيد، عن سعيد بن المُسيِّب؛ أن زيد بن خارجة الأنصاري - ثم من بني الحارث بن الخزرج - تُوُفِّيَ زمن عثمان بن عفانَ، فسُجِّيَ في ثوبه، ثم أنهم سمعُوا جَلجَلَةً في صدره، ثم تكلم ثم قال:

أحمدُ أحمدُ في الكتاب الأول، صَدَقَ، صدق أبو بكر الصديق الضعيفُ في نفسه، القويُّ في أمر الله في الكتاب الأول، صَدَقَ، صدق عمر بن الخطاب القويُّ الأمينُ في الكتاب الأول، صَدَقَ، صدق عثمانُ بن عفان على منهاجِهم، مضت أربَعٌ وبقيت اثنتان، أتت الفتنُ وأكل الشديدُ الضعيف، وقامت الساعة، وسيأتيكم من جيشكم خبر بئر أرِيسَ، وما بئر أريس.

تكلم بعد موته رضي الله عنه!!

قال يحيى: قال سعيد: ثم هلك رَجُلٌ من خطمة، فَسُجِّيَ بثوبه، فسُمِعَ جلجلةٌ في صدره ثم تكلم، فقال: إن أخا بني الحارث بن الخزرج صَدَقَ صدق.

وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو بكر بنُ إسحاق الفقيهُ، أنبأنا قُرَيشُ بن الحَسَنِ، حدثنا القعنبي، فذكره بإسناده نحوه، ***وهذا إسناد صحيح، وله شواهد.***

أخبرنا أبو الحسين بن بِشرَانَ ببغدَادَ، أنبأنا أبو علي الحُسَينُ بنُ صَفوان، حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا[1]، حدثنا أبو مسلمٍ عبد الرحمن بن يُونس، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ، قال: جاءنا يزيد بن النعمان بن بشيرٍ إلى حلقة القاسم بن عبد الرحمن بكتاب أبيه النعمان بن بشير:

(١) في كتاب "من عاش بعد الموت" (رقم ٣- طبع مكتبة السنة).

بسم الله الرحمن الرحيم

من النعمان بن بشير إلى أمّ عبد الله بنت أبي هاشمٍ، سلامٌ عليكِ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو.

فإنكِ كتبت إليّ لأكتب إليك بشأن زيد بن خارجة، وأنه كان من شأنه: أنه أخذه وَجَعٌ في حَلقِهِ، وهو يومئذٍ من أصحّ أهل المدينة، فتوفي بين صلاة الأولى وصلاة العصر، فأضجعناه لظهره، وغشيناه بُردينِ وكساءٍ، فأتاني آتٍ في مَقَامي وأنا أسَبّحُ بعد العصر[1]، فقال: إن زيدًا قد تكلمَ بَعدَ وفاتِهِ، فانصرفتُ إليه مُسرعًا وقد حَضَرَهُ قومٌ من الأنصار - وهو يقول - أو يقال على لسانه -:

الأوسطُ أجلدُ القوم، الذي كان لا يبالي في الله عز وجل لَومَةَ لائم، كان لا يأمرُ الناسَ أن يأكل قَوِيُّهم ضعيفَهُم، عبدُ الله[2] أمير المؤمنين، صَدَقَ، صدق، كان ذلك في الكتاب الأول.

قال: ثم قال: عثمانُ أميرُ المؤمنين، وهو يُعَافي الناس من ذُنُوبٍ كثيرةٍ، خَلَتِ ليلتانِ وبقي أربعٌ، ثم اختلف الناس وأكل بعضهم بعضًا، فلا نظام، وأبيحت الأحماء[3]، ثم ارعَوى المؤمنون وقالوا: كتابُ اللهِ وقَدَرُهُ[4].

أيها الناس، أقبِلُوا على أميركم، واسمَعُوا وأطيعوا، فمن تولَّى فلا يعهدن ذَمًّا، كان أمر الله قدرًا مقدورًا، اللهُ أكبر، هذه الجنةُ، وهذه النارُ، هؤلاء النَّبِيُّون والصديقون، سلامٌ عليك يا عبد الله بن رواحَةَ، هل أحسستَ لي خارجة (لأبيه)، وسعدًا اللذين قتلا يوم أحد **﴿كَلَّاۖ إِنَّهَا لَظَىٰ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ تَدعُوا مَن أَدبَرَ وَتَوَلَّىٰ وَجَمَعَ فَأَوعَىٰ﴾**. ثم خفض صوته.

فسألت الرهط عما سبقني من كلامه، فقالوا: سمعناه يقول: أنصتوا، أنصتوا، فنظر بعضُنا إلى بعضٍ، فإذا الصوتُ من تحت الثياب، فكشفنا عن وجهه، فقال: هذا أحمد رسول الله، سلامٌ عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم قال: أبو بكر

---

(١) الصلاة بعد العصر منهي عنها، إلا ما كان عن سبب شرعي، كأن لم يكن صلى سنة الظهر مثلاً، راجع كتب الفقه أو يكون المقصود أنه كان يسبح الله تعالى ويذكره.

(٢) هو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) لعله يعني ما يحميه المرء ويخاف عليه!

(٤) أي هذا مما قدر الله وقضى، ولا راد لقضائه، فأعلنوا الاستسلام والتسليم.

الصديق الأمينُ، خليفة رسول الله، كان ضعيفًا في جسمه قويًّا في أمر الله، صَدَقَ، صدق، وكان في الكتاب الأول.

وأخبرنا أبو نصر بن قتادة، أنبأنا أبو عمرو بن نُجيدٍ، حدثنا عليُّ بن الحسين بن الجنيد، حدثنا المعافى بن سُليمان، حدثنا زهير - يعني ابن معاوية - أنبأنا إسماعيل ابن أبي خالد، فذكره بإسناده ومعناه.

زاد في وسط الحديث:

وكان ذلك على تمام سنتين خَلتَا من إمارة عثمان.

وقال في آخره:

فأما قوله: خلت ليلتان وبقي أربع، فالسنتان اللَّتانِ خلتا من إمارة عثمان، قال: فلم أزل أحفظُ العِدَّة الأربع البواقي، وأتوقع ما هو كائنٌ فيهن، فكان فيهن انتزاء أهل العراق وخلافهم، وإرجافُ المرجفين، وطعنُهُم على أميرهم الوليد بن عقبة.

والسلام ورحمة الله.

قلت[١]: *هذا إسناد صحيح*[٢]، وروي ذلك أيضًا عن حبيب بن سالم، عن النعمان ابن بشير، وذكر بئر أريس، كما ذكر في رواية ابن المسيب. والأمرُ فيها: أن النبي ﷺ اتخذ خاتمًا فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر من بعدِهِ، ثم كان في يد عمر، ثم كان في يد عثمان، حتى وقع في بئر أرِيس بعدما مضى من خلافته سِتُّ سنين، فعند ذلك تغيرت عمال، وظهرت أسبابُ الفِتنِ، كما قيل على لسان زيد بن خارجة[٣].

* * *

(١) القائل هو البيهقي رحمه الله.

(٢) والقصة صححها البخاري ضمنًا، فقال في تاريخه (٣٨٣/١/٢): "زيد بن خارجة، الخزرجى الأنصاري، شهد بدرًا، توفي في زمن عثمان، *هو الذي تكلم بعد الموت*".

(٣) قد يفهم من كلام البيهقي هنا ما يدل على مسحة تعلق بأمر كوني، ونسبة حدوث الخلل إليه، والصواب من مفهوم كلامه - رحمه الله - أن وقوع الخاتم في بئر أريس ليس سببًا لظهور الفتن، وإلا كان الخاتم عاصمًا من دون الله عز وجل، وهذا لا يليق بمسلم فضلاً عن إمام من أئمة أهل السنة والجماعة، والصواب أيضًا - أنه إن حدث ذلك الخلل مساوقًا أو تاليًا لوقوع الخاتم، فلا يعدو كونه موافقة في الزمن ليس إلا، وكأنه علامة على ظهور فتن ومحن، لا أنه سبب في مجيئها، فتأمل !!

(١٨)
كرامات أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما

قال أبو نعيم - رحمه الله - (حلية الأولياء ٢/٥٦):

حدثنا أبو حامد بن جَبَلَةَ، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا زياد بن أيُّوبَ، ثنا ابن علية، ثنا أيوب، [عن] عبد الله بن أبي مليكة، قال:

استجابة أمنيتها رضي الله عنها.

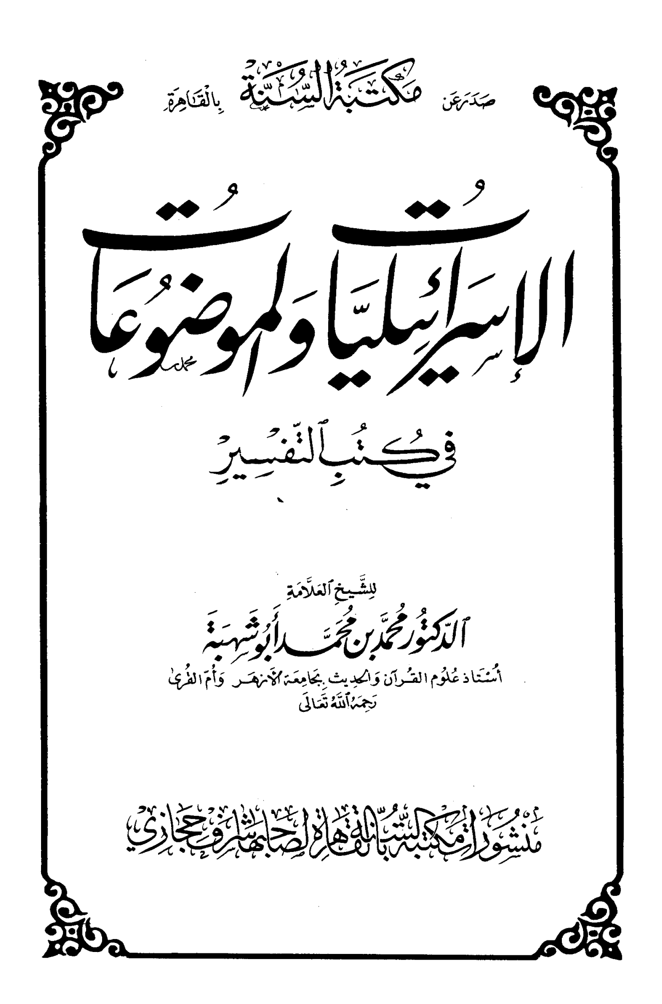
أتيتُ أسماء بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير، فقالت: بلغني أنهم صَلَبُوا عبد الله مُنَكَّسًا، فلوددت أنِّي لا أموت حتى يُدفع إليَّ فأغسله وأُحَنِّطَهُ وأُكَفِّنَهُ ثم أدفنهُ.

فلم يلبثوا أن جاء كتاب عبد الملك أن يدفع إلى أهله، فأتي به أسماء، فغسلته وطيبته ثم حنطته ثم دفنته.

قال أيوب: فحسبت قال [يعني ابن أبي مليكة]: فعاشت بعد ذلك ثلاثة أيام.

* * *

الفهــرس

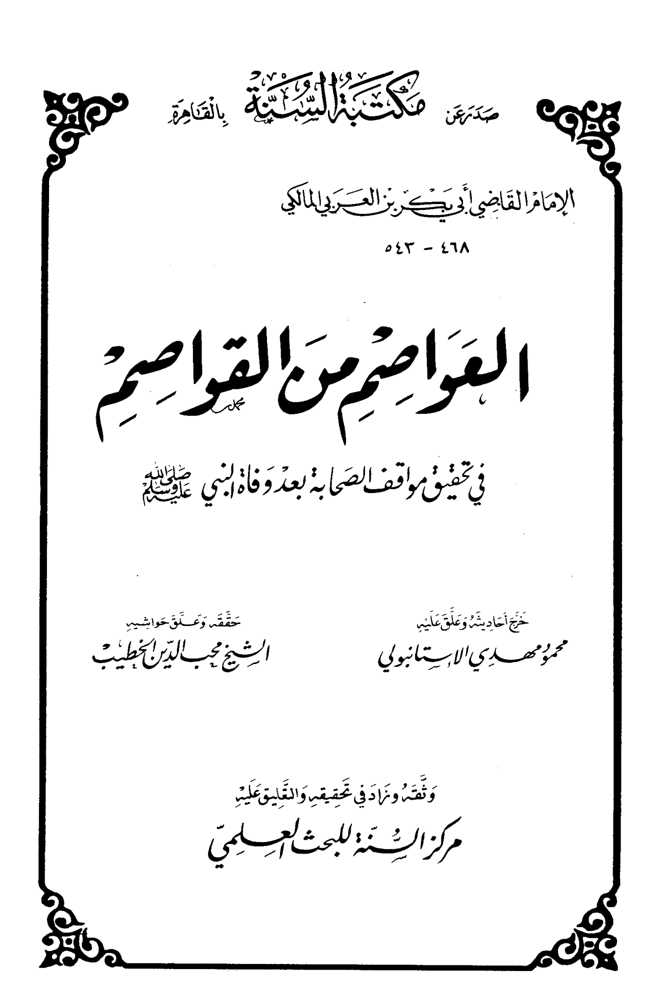


صدر عن مكتبة السنة بالقاهرة

الإسرائيليات والموضوعات
في كتب التفسير

للشيخ العلامة
الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة
أستاذ علوم القرآن والحديث بجامعة الأزهر وأم القرى
رحمه الله تعالى

منشورات مكتبة السنة بالقاهرة لصاحبها أشرف حجازي



صدر عن مكتبة السنة بالقاهرة

الإمام القاضي أبي بكر بن العربي المالكي

٤٦٨ - ٥٤٣

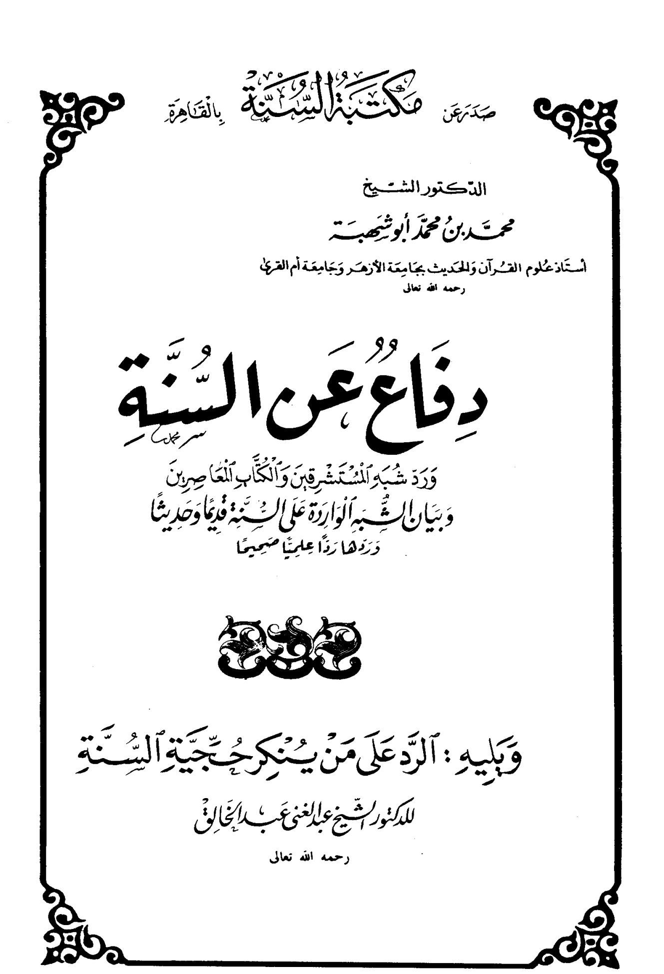
العواصم من القواصم

في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

خرج أحاديثه وعلق عليه
محمود مهدي الاستانبولي

حققه وعلق حواشيه
الشيخ محب الدين الخطيب

وثقه وزاد في تحقيقه والتعليق عليه
مركز السنة للبحث العلمي


صدر عن مكتبة السنة بالقاهرة
الدكتور الشيخ
محمد بن محمد أبو شهبة
أستاذ علوم القرآن والحديث بجامعة الأزهر وجامعة أم القرى
رحمه الله تعالى
دفاع عن السنة
ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين
وبيان الشبه الواردة على السنة قديما وحديثا
وردها ردا علميا صحيحا
ويليه: الرد على من ينكر حجية السنة
للدكتور الشيخ عبد الغني عبد الخالق
رحمه الله تعالى